زاد الدعاة

زاد الدعاة

من هـدى القـرآن الـكريم

الجزء الثـانى

د. عبد الحى الفرماوى

أستاذ تفسير القرآن الكريم وعلومه المساعد
بجـامعة الأزهـر

الطبعـة الأولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

مطبعة حسان

٢٤١ "أ" شارع الجيش

ت : ٨٢٢٥٤٠٤ - القاهرة

تقديمٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله ، والاستعانة بالله ، والتوكل على الله ، ولا شيء من ذلك لغير الله سبحانه وتعالى .

والصلاة والسلام على خير خلق الله ، سيدنا محمد بن عبد الله ، الذى أسلم وجهه لله ، فأخلص فى عبادته ، كما أخلص فى أداء رسالته ، فكانت عبادته نبراسا ، ورسالته نورا ، ودعوته هديا وضياء ، وستظل الى يوم الدين ، صلى الله عليه وسلم .

* * *

وبعـــــد ...

فهذا هو الجزء الثانى من كتـــاب « زاد الدعاة من هدى القرآن الكريم » .

يصدر بفضل الله تعالى فى نفس العام الذى صدر فيه الجزء الأول .

ويهدف ـ كما يهدف الكتاب بجميع أجـزائه ـ الى تقديم :

« زاد للدعاة » .

يحقق فيهم ـ وبهم ـ القدوة الحسنة .

ويمكنهم ، وييسر لهم ، تبليغ هدى القرآن الكريم
- فى اصلاح الناس ، ودنيا الناس - لغيرهم ·

وذلك :

بموضوعاته التى يقدمها ·

وأسلوبه الذى يعالج - ويشرح - به ، هذه
الموضوعات ·

* * *

ويتم ذلك عن طريق :

« التفسير الموضوعى » ·

الذى : يمكن الداعية الى الله تعالى - محاضرا كان
او باحثا - من الاحاطة بالموضوع ، المطروح للبحث ،
احاطة تامة ، بجميع : جوانبه ، وزواياه ، احاطة : تمكنه
من أن يعلل للناس أحكام الشرع وقوانينه ، بطريقة
واضحة ، وافية ، مقنعه ، كما تعينه على أن يكشف لهم :
أسراره ، وخوافيه ، بدرجة تستريح معها قلوبهم ،
وعقولهم ، الى سمو هذا التشريع ، وألوهيته ، وصلاحيته ،
واصلاحه ، و - كذلك - الى نزاهة الحكيم سبحانه ،
ورحمته بعباده فيما يشرع لهم ·

والذى : يساعد الداعية - مع طالب المعرفة عموما -
على الوصول الى هدى القرآن ، دونما تعب ، أو مشقة
بين ما ملئت به كتب التفسير ، المختلفة ، من مباحث
لغوية ، أو فقهية ، أو ... الخ ·

* * *

ومن هذا المنطلق :

كان منهجنا فى تناول الموضوعات ، التى تعرضنا لها فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

وهو نفسه كذلك : فى تناول موضوعات هذا الجزء ، الذى بين يديك .

وهو - ثالثا - بعون الله تعالى : الذى نحاول أن نسير عليه ، ونلتزم به ، فى باقى موضوعات الأجزاء التالية ، ان شاء الله تعالى .

وهو منهج : « التفسير الموضوعى » .

آملا - بما أقدم من موضوعات - أن يكون ذلك :

تبيانا : لهدى القرآن .

وعرضا : حسنا ، جيدا ، لموضوعات الاسلام .

و « زادا : للدعاة » الى الله تعالى .

وضياء : للسائرين على طريق الهداية ، الباحثين عن مرضاة الله سبحانه وتعالى .

كما آمل - كذلك - أن يكون : -

خدمة : للاسلام ، والمسلمين .

ونورا لى : فى قبرى ، يوم ينصرف عنى : المال ، والأهل ، والولد .

وزادا لى : (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) •

ابو محمد
عبد الحى حسين الفرماوى

القاهرة ٠٠ ارض النعام فى يوم الاثنين

٣ من ربيـــــع الأول ١٤٠٥ هـ
الموافـــق ٢٦ نوفمبر ١٩٨٤ م

« مقدمة الجـزء الأول »

« [illegible] »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد :

فانه فى هذا العصر :

الذى وصلت فيه أعداد المسلمين الى الألف مليون نسمة ، والذى لا تخلو فيه قارة من قارات العالم الخمس، بل لا تخلو فيه دولة كبيرة أو صغيرة من دول هذا العالم من وجود نفس يقول : لا اله الا الله محمد رسول الله على أرضها قل عدد هذا النفر أو كثر .

والذى أصبحت وسائل الاتصال فيه بين أفراد الأسرة البشرية : متعددة ، بل كثيرة ، ومنوعة ، وسريعة ، بل فورية ، وان بعدت الشقة ، وطالت المسافات بين المتصلين ببعضهم بعضا .

والذى غدا السبق والفوز فيه لمن يستغل هذه الوسائل ، قبل غيره ، أو أكثر من غيره ، أو بأساليب تكتسى : بالجدة ، والطرافة ، والاقناع ، أو الاغراء ، أكثر – كذلك – من غيره ، فى الاعلان عن أفكاره ، والدعوة الى مبادئه .

أقول : فى هذا العصر ..

أصبح الطريق سهلا ، والأبواب مفتوحة ، للتعارف ، والتواصل ، والترابط ، والتعاون ، والتناصر ، بين أفراد

هذه المجموعة الكبيرة ، التى تغطى بوجودها أرض الدنيا كلهـــا •

تصديقا لقوله تعــالى :

(ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (١) •

وتحقيقا ـ كذلك ـ لقوله تعــالى :

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) (٢) •

وايضـا :

أصبح واجبا على هذه الأعداد الهائلة من المسلمين : نشر هــدى الله سبحانه وتعـــالى ، وتبيين ملامح منهج السماء لاصــلاح الانسـان ، بسـلوكهم ، والدعـوة اليـه بتصرفاتهم وافعالهم قبـل أقوالهم ، حيث ان أثر الكلمة الطيبة ـ على الرغم من الاتفاق على فضل هـــذا الأثر ـ لا يصل الى جزء يسير من أثر القدوة الحسنة والمثـــال الحى ، الذى يخالط الناس ، ويعاشر البشر فى واقعهم ، ويتحرك معهم فى دنياهم •

* * *

ونشر هدى القــرآن لاصلاح الانســـان ، لا يتم على الوجه الأكمل الا :

---

(١) الحجرات : ١٣ •

(٢) المائدة : ٢ •

بفهم هـــذا المنهج - أولا - ودراسته ، دراسة تعين على ، فهم أسراره ، ومعرفة حكمته وأحكامه .

ثانيا : بالالتزام الكامل ، والاتباع العاقل الواعى لهذا الهـدى .

ثالثا : باعـــلام الآخـرين - من المسـلمين وغـير المسلمين - بهـذا الهدى ، اعـلاما ذكيا ، والدعـوة اليه بالقدوة الحسنة أولا ، وكذلك بالحكمة والموعظة الحسنة .

رابعا : باستغلال كل ما يسره الله تعالى للانسان فى هذا العصر ، من وسائل الاتصال والتفاهم والتقارب بين أفراد بنى الانسان ، أو بين جماعاته وأممه .

خامسا : ببذل كل ما يطلب - دماء ، أو أموالا ، أو جهودا - لتحقيق هذا النشر وهـــذا التبليغ ، عن طيب خاطر ، ورضى نفس .

سادسا : بالتربع - باقتــدار وجـــدارة - فى مكان الصدارة من قيادة هذا العالم ، المحتاج الى قيادة راشدة حكيمة ، تأخذ بيده الى طريق النجاة من هذه الأوحال ، التى يزداد غرقا فيها يوما بعد يوم .

خاصة : ونحن أمة وهبها الله كل شىء بسخاء .

فلدى الأمة الاسلامية : الأعداد الهائلة ، والأموال الطائلة ، المســاحات الأرضـــية الواســـعة ، والثروات الطبيعية المتعددة والكثيرة ، والعبقرية الفذة .

وفوق ذلك : وهبهـــا : هـــذا الدين الخــاتم ، الذى بحمايته - ولحمايته - لزم أن تكون هى الأمة القـــائدة لأمم الأرض كلها .

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) (٣) ٠

نعم على كل الناس !!

ثم يقول عز من قائل :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس) (٤) ٠

فى الأولين والآخرين ٠٠

* * *

نعم ٠٠

بيد أن أكثر الناس، فى هذا الزمان، لا يعلمون ٠٠!!

وكذلك : لا يستحقون ٠٠ !!

لأنه : من علامات هذه الخيرية ، وأهداف هذه الزعامة ، أن :

نأمر بالمعروف ٠

وننهى عن المنكر ٠

ونؤمن بالله تعالى ٠

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف

---

(٣) البقرة : ١٤٣ ٠
(٤) آل عمران : ١١٠ ٠

وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهــل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) ٠

ولن تكون هذه الخيرية ٠٠ الا بتحقق مؤهلاتها ٠٠ !! وتوافر علاماتها ٠٠ !!

فهل نمتلك مؤهلاتها ٠٠ ؟؟

وهل تظهر فينا علاماتها ٠٠ ؟؟

فى تصورى : ان كلمة « نعم » ، لا تستطيع أن تبرز فى جواب هـــذا السـؤال ، حتى ولــو كانت تمشى على استحياء !!!!

ولهــذا ٠٠ !!

بعدنا عن : ركب القيادة ، ومكان الصدارة ، وصرنا ـ بدون هدى القرآن ـ صغارا ، تابعين ، تتقاسمنا الأهواء ، وتتجاذبنا الرياح ، بين الانصـياع للشرق تــارة ، وبين الانبهار بالغرب أخرى ٠

* * *

وللعودة الى القيادة ٠٠

لابد من : العودة الى هدى القرآن، وامتلاك مؤهلات خيريتنا ، التى وهبها الله تعالى لنا ، واختصنا بها ٠

نعــم ٠٠

لابد من العــودة الى النــور ٠٠ الى القــوة ٠٠ الى القرآن ٠٠ الى الله سبحانه وتعالى ٠

* * *

وهذا الكتاب : على اعواز فيه وتواضع و ـ كذلك ـ بقية أجزائه اللاحقة له ان شاء الله تعالى ٠

أتمنى من الله تعالى أن يكون :

ـ بلسما لبعض جراح هذا العالم، اللاهث فى حروبه، الغارق فى ذنوبه ، التائه عن درب عزه وأمنه وسعادته ٠

ـ و « زادا للدعـاة » ٠

الى الله تعالى ـ وأنا منهم ـ ينير لهم ـ وأنا معهم ـ الطريق الى طاعة الله تعالى ، ويمد لهم ـ ولى كذلك ـ يد العون والمساعدة فى الوصـول الى حسن عبـادة الله تعالى ، بالامتثال ، والقدوة الصالحة ، والتبليغ بالموعظة الحسنة ، والكلمة الطيبة ، أملا فى نشر هـدى القـرآن الكريم ، وتوسلا لنيل رضوانه سبحانه وتعالى ٠

ـ ودرجة من درجات الصعود نحو امتلاك مؤهلات خيرية هذه الأمة ، والعودة لهذه القيادة الضائعة منـا ، والزعامة الباكية علينا ٠

(انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيـا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظـالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)(٥) ٠

وقد يلاحظ القارىء الكريم :

أن الترابط والتسلسل مفقود بين موضوعات الكتاب٠

بيد أن الهدف من جميعهـا ـ على التباين الواضـح بينها ـ واحد ، وهو تقديم :

---

(٥) غافر : ٥١ ، ٥٢ ٠

« زاد للدعاة » .

يحقق فيهم القدوة الحسنة ، ويمكنهم ، وييسر لهم ، تبليغ هدى القرآن الكريم ـ فى اصلاح الناس ، ودنيا الناس ـ لغيرهم .

* * *

ختـــاما :

أضرع الى الله العلى القدير :

أن : ينفعنى ، وقرائى الأعزاء ، بهذه الموضوعات .

وأن : يعيننى على اصدار باقى أجزاء هذا الكتاب .

وأن : يخلص منى ، له سبحانه وتعالى ، القصد فيه .. !!

وأن : ينيلنى به بغيتى منه تعالى ..

انه : نعم المولى ، ونعم المعين ، ونعم المجيب .

سبحانه وتعالى .

---

(٥) غافر : ٥١ .

البحث العاشر

أدب

الاسـتئذان فى القرآن الكريم

- تقـديم .
- الآيات .
- ملابسات تشريع الاستئذان .
- كيفية الاستئذان .
- دخول البيوت الخاصة .
- دخول البيوت العـامة .
- الاستئذان داخل البيت الواحد .

تقـــديم

(أ) أدب من آداب الاسلام ، هجره الناس ، أو قل : جهلة الناس ، وتاهت معالمه ، ونسيت مباهجه ، ووقعت بسبب ذلك المخاطر ، التى انتشر ضررها ، وتفاقم على كواهل الناس وزرها •

وما أشبه الليلة بالبارحة • !!

قديما •• لم يكن بين النـاس هـذا الأدب الرفيع ، والحصن الـذى يحافظ على مشـاعرهم ، ويسـاعد على صيانة أعراضهم •

حتى كان الاسلام •• !!

واتضحت مع آياته ملامحه ، وبانت معـالمه ، ومع السنة النبوية طبقت تشريعاته ، وظهرت جليا ـ بسـبب ذلك ـ فوائده •

واليوم •••

وأخشى أن تعود عقارب السـاعة الى الوراء ، الى ما كان عليه الناس ـ بخصوص هذا الأدب الرفيع ـ قبل الاسلام ، ولن يكون ـ بفضل الله تعالى ، بسبب حماية الله تعالى لدينه :

(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) •

والى بيان هذا الأدب ، منذ ميلاده ، مع فجر الاسلام نبدأ الحديث حول هذا الموضوع •

فنقـول :

(ب) هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة الى المدينـة : فأصـبحوا بها قـــوة بعـــد أن كانوا مستضعفين ، ولبسوا بها الأمان بعـد أن كانوا خائفين ، وجاهروا بعبادتهم وشعائرها بعد أن كانوا بها متسترين، وأصبحت المدينة وطنا آمنا مرهوب الجانب بعد أن لقى الأعداء على أبوابهـا فى غزوة الخندق هزيمة منكره ، وعادوا خائبين ، خاسرين ، وأعلن النبى صلى الله عليه وسـلم فى أصـحابه ، ما يشعرهم به ويعلمهم أن المدينة أصبحت ذات : سيادة ، واستقلال ، مرهوبة الجـانب ، عزيزة المنال ، يخشاها الأعداء ، ويأمن فيهـا المسلمون على أنفسـهم وأهليهم ، وأموالهم ، ويمكنهم فيهـــا أن يقيموا بها أحكام الاسلام ويؤدوا فرائضه ، دونما عـدو بتربص بهم (١) حينما قال ، صلى الله عليه وسلم :

« حين أجلى الأحـزاب عنـه : الآن نغـزوهم ، ولا يغزوننا ، نحن نسير اليهم » (٢) ٠

ومعنى هذا : أن المسلمين أصبحوا فى المدينة أصحاب وطن يتمتع بالحدود الآمنة ، ويقطنه أفراد يمكنهم تنفيذ شرائع الله تعالى ، ولهم رئيس يحكمهم وينفذ فيهم أحكام السـماء ٠

ولذا : ناسب أن ينزل القرآن الكريم فى هذه الفترة بالأحكام التى تنظم للمسلمين حياتهم وعباداتهم ٠

(جـ) وفى هـــذه الفترة : نزلت ســـورة النور حافلة بتدابير قانونية وخلقية واجتماعية لاصلاح الحياة البشرية وتعميرها ٠

---

(١) سيرة بن هشام ٣/٢٦٦ ٠

(٢) رواه البخارى : كتاب المغازى ـ باب غزوة الخندق ٠

وتنقسم الأحكام والتعليمات الالهية ، التى تزخر بها آيات هذه السورة الى قسمين :

١ ـ أحكام تعالج انحرافات، تكون قد وقعت بالفعل فى المجتمع الاسلامى ٠

مثـــل :

آيات : حد الزنا ٠

آيات : حد القذف ٠

آيات : اللعـان ٠

٢ ـ تعليمات للوقاية من مثل هـــذه الانحرافات ، قبل وقوعها ٠

مثـــل :

آيات : الاستئذان ٠

آيات : غض البصر وحفظ الفرج ٠

آيات : الحث على الزواج ٠

وحديثنا ـ ان شاء الله تعالى ـ سوف يتناول آيـات الاستئذان ، من روائع هذه السورة وآياتها البينات ٠

آيات الاستئذان

قال الله تعـالى :

(يا أيهـا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غـير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لـكم لعلكم تذكرون ٠

فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيـل لكم ارجعوا فارجعوا هـو أزكى لكم والله بمـا تعملون عليم ٠

ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) (٣) ٠

وقال سبحانه وتعالى :

(يا أيها الذين أمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صـلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صـلاة العشاء ثـلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جنـاح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ٠

واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استئذن الذين من قبـلهم كـذلك يبين الله لـكم آيـاته والله عليم حكيم) (٤) ٠

---

(٣) النور : ٢٧ ـ ٢٩ ٠

(٤) النور ٥٨ ، ٥٩ ٠

ملابسات تشريع الاستئذان

(أ) ملابسات عامة :

لما أنزل الله تعالى سورة النور فى هذا العهد المدنى، وجعلها حافلة بالآيات البينات ؛ والأحكام الواضحة ، التى تعالج الانحرافات ، والظواهر المرضية فى المجتمع .

بدأ فيها أولا : بعـــلاج الأمراض والعيوب ، وذلك بتفصيل الزواجر عن الزنا ، وعن رمى العفائف عنه .

ثم عقب ذلك : بتفصـيل الزواجر همـــا يؤدى الى أحدهما ، من : مخالطة الرجال بالنساء ، ودخولهم عليهن فى أوقات الخلوات (٥) ، وهـــذا فيه : ما يحول دون نشوء المفاسد فى المجتمع أصلا ، واستئصال الأسباب التى تظهر لأجلها مثل هذه المفاسد (٦) .

وكان من ذلك : آيات الاستئذان هذه .

(ب) ملابسات خاصة :

١ ـ لقد كان من عادة العرب فى الجاهلية : دخولهم بيوت الناس ، قائلين « حييتم صـباحا ، حييتم مساء » بدون استئذان من أهلها ، وقد تقع أنظارهم على نسائهم، وهن فى حالة غير جديرة بالنظر ، وكان هذا الوضع مؤلما لنفوس المسلمين ، ومؤذيا لمشاعرهم .

ويصور هذا الاحساس المؤلم ، احدى نساء الأنصار : عندما أتت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة له (٧).

---

(٥) ابو السعود ارشاد العقل السليم ٥٤/٤ .
(٦) أبو الأعلى المودودى النور ص ١٤٠ .
(٧) الواحدى : اسباب النزول ص ١٨٦ .

يا رسول الله !

انى أكون فى بيتى ، على حال ، لا أحب أن يرانى عليها أحد ، لا والد ولا ولد ، فيأتى الأب فيدخل على ، وانه لا يزال يدخل على رجل من أهلى ، وأنا على تلك الحال .

فكيف أصنع ؟؟

وكانت اجابة السماء - مؤسسة لقاعدة أساسية ، وهى : حرمة دخول بيوت الغير ، الا باذن - فى نزول جبريل الى النبى عليه الصلاة والسلام ، بقول الله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون .

فان لم تجدوا فيها أحد فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم) .

وبهذا :

أصلح الله تعالى هذا الوضع ، الذى طالما تأذت منه النفوس .

اذ قرر سبحانه : أن لكل فرد حقا فى الخلوة ، وأنه لا يجوز لغيره أن يتدخل فيها بدون رضاه واذنه (٨) .

٢ - ولما كان العرب أصحاب تجارات ، وسفر وترحال ، بين مكة والشام ، ويحتاجون خلال هذه

---

(٨) المودودى : النور ص ١٤٢ .

السـفريات الى النزول للاسـتراحة ، أو المبيت ببعض الأماكن العامة ، على طرق السفر هـــذه ، فقد أصابهم ما يشبه التحرج والتخوف ؛ حيث أنه لا ينطبق على هذه البيوت والأماكن ما ينطبق على بيوتهم الخاصة .

ولـذا :

سأل الصديق أبو بكر ، رضى الله عنه ، النبى عليه الصلاة والسلام ، عقب نزول هذه الآيات ، قائلا :

يا رسول الله :

أفرأيت الخانات والمساكن فى طرق الشام ، ليس فيها ساكن .

أى : ماذا نصنع ؟؟

فأنزل الله تعالى ، اكمالا لما نزل :

(ليس عليكم جناح أن تدخلو بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) .

وبهـــذا : تم تعـليم النـــاس آداب الاسـتئذان ، ومشروعيته .

عند دخول : البيوت الخاصة .

وعند دخول : البيوت والمرافق والأماكن العامة .

٣ ـ ولكن !

لما أحس الناس : متعة الحرية فى البيوت ، وحفظ تشريع الاستئذان : علاقات المودة والترابط والاحترام فيما

بينهم ، وتنظيمها لعملية اختـــلاط الرجال بالنســاء ، وما فيها من ســـد الثغرات ، التى تجلب على المجتمع كثير المفاسد ٠

تطلعت نفوسهم ، الى ما هو أدق من ذلك :

وهو : تنظيم كيفية دخـول الأقارب على بعضــهم بعضا ، داخل البيت الواحد ٠

ويصور لنا هذا التطلع : الواحدى فى كتابه « أسباب النزول » (٩) ٠

حيث يذكر فى رواية عن ابن عباس أنه قال :

وجه رســول الله صـــلى الله عليه وسلم غــلاما من الأنصار ، الى عمر بن الخطـاب ، رضى الله عنه ، وقت الظهيرة ، ليدعوه ، فدخل ، فرأى عمر بحــالة ، وكره عمر رؤيته ذلك ٠

فقال عمر : يا رسول الله ، وددت لو أن الله تعــالى أمرنا ونهانا فى حال الاستئذان ٠

ثم يذكر فى رواية أخرى عن مقاتل أنه قال :

ان أسماء بنت مرثد : كان لها غلام كبير ، وقد دخل عليها فى وقت كرهته ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت :

ان خدمنــا وغلماننا ، يدخـلون علينــا فى حــال نكرهه !!

---

(٩) ص ١٨٩ ٠

وكأن عمر وأسماء بنت مرثد رضى الله عنهما : يستغيثان بالسماء ، طلبا لتشريع ٠

يحمى البيوت من المفاسد ، التى تنشأ من الاختلاط المألوف داخلها ٠

وينظم لأهل البيت الواحد ، آداب دخول بعضهم على بعض ٠

ويثبت فى نفس الوقت : حق الفرد فى خلوته ببيته ٠

وكان هذا التشريع الالهى : الذى ينظم الحركة داخل البيت الواحد ، وبين الأقارب أنفسهم ، والذى يؤسس قاعدة هامة ، وهى : أن العبيد ، والخدم والأطفال ، الذين لم يبلغوا الحلم ، لهم الحق فى التجول والطواف داخل البيت ، الا فى أوقات ثلاثة ، فيمنع منهم هذا الحق ، الا بعد الاستئذان ، الذى يحفظ للشخص حريته ، وللبيوت سلامة أسرارها ، وبعدها عن المفاسد ، وذلك بقوله تعالى :

(ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات :

من قبل صلاة الفجر ٠

وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة

ومن بعد صلاة العشاء

ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ٠

كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم

واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ٠

كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) ٠

وبذلك : تكاملت آيات الاستئذان ، وتأسست حرية الأفراد فى خلوتهم داخـل بيوتهم ، واتضحت الأحـكام التى تسد الثغرات التى قد تؤدى الى المفاسد الاجتماعية والانحرافات الخلقية ٠

وبذلك ـ أيضا ـ تكاملت أحكام السورة التى تعالج المفاسـد الاجتماعية ، والتى تقى ـ كذلك ـ منها قبـل وقوعهـا ٠

كيفية الاستئذان

ولما كان تشريع الاستئذان بالأمر الجديد على جماعة المسلمين : فقد وضح الاسلام كيفيته ، وبين طريقته ، وفقا لما يلى : ـ

(أ) ينبغى أن يستأذن الطارق ، ثلاث مرات . وقد كان ذلك : سنة النبى صلى الله عليه وسلم .

فقد روى البخارى ، بسنده : عن أنس ، رضى الله عنه ، « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا سلم : سلم ثلاثا ، واذا تكلم بكلمة : أعادها ثلاثا » (١٠) .

وعن أبى سعيد الخدرى ، قال : كنا فى مجلس عند أبى بن كعب ، فأتى أبو موسى الأشعرى ، مغضبا ، حتى وقف ، فقال : أنشدكم الله !! هل سمع أحد منكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول « الاستئذان ثلاث ، فان أذن لك ، والا فارجع » قال أبى : وما ذاك ؟ قال : استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ، ثلاث مرات ، فلم يؤذن لى، فرجعت ، ثم جئته اليوم ، فدخلت عليه ، فأخبرته : أنى جئت أمس ، فسلمت ثلاثا ، ثم انصرفت ، قال : قد سمعناك ، ونحن حينئذ على شغل ، فلو ما استأذنت (١١) حتى يؤذن لك ؟ قال : استأذنت كما سمعت من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : فوالله ! لأوجعن ظهرك وبطنك ، أو لتأتين عن يشهد لك على هذا .

فقال أبى بن كعب : فوالله ! لا يقوم معك الا أحدثنا سنا ، قم : يا أبا سعيد ، فقمت حتى أتيت عمر ، فقلت :

---

(١٠) كتاب الاستئذان ـ باب التسليم والاستئذان ثلاثا .

(١١) أى : هلا استأذنت ، ومعناها : الحث على الاستئذان.

قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا (١٢).

وعن قيس بن سعد ، قال : زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى منزلنا ، فقال :

السلام عليكم ورحمة الله .

فرد سعد : ردا خفيا .

قال قيس : فقلت : ألا تأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال : ذره يكثر علينا من السلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : السلام عليكم ورحمة الله .

فرد سعد : ردا خفيا .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : السلام عليكم ورحمة الله .

ثم : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واتبعه سعد ، فقال : يا رسول الله !! انى كنت أسمع تسليمك ، وأرد عليك ردا خفيا ؛ لتكثر علينا من السلام .

---

(١٢) رواه : البخارى كتاب الاستئذان - باب التسليم والاستئذان ثلاث .
ورواه : مسلم - كتاب الآداب - باب الاستئذان - واللفظ له .
ورواه : الترمذى كتاب الاستئذان باب ما جاء فى الاستئذان ثلاثة .

قال : فانصرف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث (١٣) .

وحكمة جعل الاستئذان ثلاث مرات :

أن الأول : به يحصل الاعلام لأهل البيت ، والتنبيه بوجود طارق بالباب .

وبالثانى : يحصل التهيؤ والاستعداد لمقابلة هـذا الطارق ، أو عدم مقابلته .

وبالثالث : يحصل الاذن له بالدخول ، أو التصريح له بعدم الدخول ، أو فهمه بنفسه عدم وجـود أحد يأذن بالدخول ، أو عدم وجود أحد صلا (١٤) .

(ب) لا ينبغى : أن يكون الاسـتئذان ثـلاث مرات متوالية ، بـل يكون بين كل استئذان وآخر فصـل من الزمن ، حتى اذا كان صـاحب الدار مشتغلا بأمر يمنعه من الاذن ، فليفرغ منه (١٥) ، فضـلا عن أن التـوالى السريع لا يحقق حكمة التعداد .

(جـ) لا يجـوز : أن يلح الزائـر فى الاستئذان ، أو يلتزم باب الدار ان لم يجد الاذن من صاحبها .

بل عليه : أن يستأذن ثلاثا ، فان لم يجد الأذن من صاحب الـدار ، أو أبى مقـابلته ، فليرجع (١٥) ؛ فان

---

(١٣) رواه : ابو داود - كتاب الأدب - باب كم مرة يسـلم الرجل فى الاستئذان ؟

(١٤) انظر : الجمل فى الفتوحات الالهية ٢١٧/٣ .

(١٥) المودودى : سورة النور ص ١٤٦ .

للناس حاجات ، ولهم أشغال ، والله أولى بالعذر (١٦) ٠

قال تعالى :

(فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم) ٠

(د) وينبغى على الطارق : أن لا يقف عند الاستئذان فى مواجهة الباب ، بل عليه : أن يقف بعد الطرق على يمين الباب أو على يساره ، حتى لا يقع نظره عند فتح باب المنزل على عورة ، أو على شىء لا يحب أهل البيت أن يطلع عليه أحد ٠

قال عليه الصلاة والسلام « انما جعل الاستئذان من أجل البصر » (١٧) ٠

(هـ) وينبغى على الطارق : أن يذكر اسمه ، أو ما يعرفه به أهل البيت ، عندما يسأل من فى البيت عن الطارق ، ولا يقول « أنا » كما يفعل الكثيرون ٠

وقد كره النبى عليه الصلاة والسلام قول « أنا » من المستأذن ٠

ولذا ورد عن جابر بن عبد الله أنه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فى دين كان على أبى ، فدققت الباب ٠

---

(١٦) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣/٢٨١ ٠

(١٧) رواه البخارى : كتاب الاستئذان ـ باب الاستئذان من أجل البصر ٠

ورواه مسلم : كتاب الادب ـ باب تحريم النظر فى بيت غيره ٠

ورواه الترمذى : كتاب الاستئذان ـ باب ما جاء فى الاستئذان قبالة البيت ٠

فقال : من ذا ؟

فقلت : أنا ٠

فقال : أنا أنا !!

كأنه كرهها (١٨) ٠

حيث أن كل أحد يعبر عن نفسه بـ « أنا » ، وفى هذه الحالة : لا يحصل المقصود من الاسئذان ، الذي هو الاستئناس المأمور به ٠

وكانت عادة كثير من الصحابة الافصاح عن أنفسهم عند استئذانهم ٠

(١٨) رواه البخارى : كتاب الاستئذان ـ باب اذا قال : من ذا ؟ قال : أنا ٠

ورواه مسلم : كتاب الآداب : باب كراهة قول المستاذن : أنا ... الخ ٠

دخول البيوت الخاصة

وكما وضح الاسلام كيفية الاستئذان ، وآدابه ، وضح - كذلك - البيوت التى يستأذن الشخص فى دخولها .

واقتضى البحث تقسيم البيوت الى ثلاثة :

(أ) بيوت الأجانب .

(ب) بيوت الأقارب .

(ج) بيت المرء نفسه .

(أ) فلدخول المرء بيوت الأجانب .

أمر الله سبحانه وتعالى بالاستئذان .

ووضحت السنة النبوية كيفية هذا الاستئذان .

وقرر المولى : أن لكل شخص الحق فى الاذن لمن شاء بدخول بيته ، أو منعه من ذلك :

(وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) .

وقرر أيضا : احترام البيوت فى غياب أصحابها ؛ فلا يحل لأحد الدخول فيها أثناء غيابها ، أو غياب من يملك منهم الاذن بالدخول (فان لم تجدوا فيها أحدا) أصلا ، أو ممن يملك الاذن (فلا تدخلوها) .

وقررت السنة كذلك(٨):أن حق الانسان فى الانفراد والخلوة بنفسه غير مقصور على بيته فقط ، بل جعلته

حقـــا عاما ، لا يجوز لأحـد بموجبه أن يطلع على دار غيره ، أو يدخل فيها النظر ، ولا أن يقرأ رسـالته دون اذنه ٠

كمــا روى عن عبد الله بن عبـــاس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نظر فى كتاب أخيه بغير اذنه فانما ينظر فى النار » (١٩) ٠

وقد وضحت الآية الكريمة للمؤمنين فى هذا الصدد قاعدة أساسية : وهى عدم جواز دخول بيوت الغير لكل الناس ، وفى كل الأوقات :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) ٠

وأن الاستثناء من هذه القاعدة : هو الدخول بعـد الاذن (حتى تستآنسوا وتسلموا على أهلها) على النحو الذى تفصل قبل ذلك ٠

وذلك لصـالح جمـــاعة المسـلمين ، وترابطهم ، وتوادهم ، ولرفع الجفوة بينهم ، لولا هذا الاستثناء ٠

(ب) وينطبق نفس الكلام على دخول الانسان بيتـا فيه أقاربه ٠

فقوله تعالى (غير بيوتكم) يشمل بيوت الأجانب ، ويشمل كذلك بيوت الأقارب ٠

قال مالك : ويستأذن الرجل على أمه وأخته ، اذا أراد ان يدخل عليهما (٢٠) ٠

---

(١٩) رواه أبو داود : كتاب الصلاة ـ تفريع أبواب الوتر ـ باب الدعاء ٠

(٢٠) ابن العربى : أحكام القرآن ١٣٤٩/٣ ٠

فقد روى عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم :

أستاذن على أمى ؟

قال : نعم .

قال : انى أخدمها !!

قال : أستاذن عليها .

قال : فعاوده ثلاثا .

قال النبى عليه الصلاة والسلام : أتحب أن تراها عريانه ؟

قال : لا .

قال : فاستأذن عليها (٢٠) .

وعن ابن مسعود وابن عباس ، أنه قيل للنبى عليه الصلاة والسلام .

أستأذن على أخوتى وهن فى حجرتى معى فى بيت واحد ؟

قال : نعم .

فرددت عليه ليرخص لى .

فأبى .

قال : أتحب أن تراها عريانه ؟

قلت : لا ٠

قال : فاستأذن عليها ٠

فراجعته ٠

فقال : أتحب أن تطيع الله ؟

قلت نعم ٠

قال : فاستأذن عليها (٢٠) ٠

وكان عبد الله بن مسعود يقول : « عليكم الاذن على أمهاتكم » (٢١) ٠

وقال طاووس في رواية عن أبيه ، أنه قال : « ما من امرأة أكره الى أن أرى عورتها من ذات محرم » ، قال : « وكان يشدد فى ذلك » (٢١) ٠

والعلة فى كل ذلك : أن الأم ، أو الأخت ، قد تكون على حالة لا تحب أن تراها فيها (٢٠) ٠

فما أجملها من مراعاة للمشاعر ! وما أكرمها من محافظة على الحياء !!

(ج) أما فى بيت المرء نفسه ٠

فان كان يقيم فيه معه زوجه ، وأخته ، أو أمه ؛ فلابد أن يستأذن لما مر قريبا ٠

وان لم يكن فيه غير زوجه ٠

---

(٢١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣/٢٨٠ ٠

فلا اذن عليه (٢٠) ٠

قال ابن جريج : قلت لعطاء :

أيستأذن الرجل على امرأته ؟

قال : لا ٠

وهذا محمول على عدم الوجوب ٠

والا : فالأولى :

أن يعلمها بدخوله ، ولا يفاجؤها به ، لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها (٢١) ٠

وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنهما ، قالت :

كان عبد الله اذا جاء من حاجة فانتهى الى الباب ؛ تنحنح وبزق ، كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه (٢١) ٠

وجاء فى الصحيح :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنه نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا - وفى رواية - ليلا يتخونهم » (٢٢) ٠

وفى الحديث الآخر :

---

(٢٢) رواه البخارى : كتاب العمرة - باب لا يطرق أهله اذا بلغ المدينة ٠

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قدم المدينة نهارا ، فأناخ بظاهرها ، وقال « انتظروا حتى ندخل عشاء - يعنى آخر النهار - حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة » (٢٣) .

واذا كان هذا فى بيت المرء نفسه !

فالأولى من ذلك : اذنه على محارمه ، والواجب مراعاته أكثر من الجميع واتباعه دون تلكؤ أو تباطؤ : هو الاستئذان فى جميع الأوقات ، وفى جميع بيوت الآخرين .

---

(٢٣) رواه مسلم : كتاب الامارة - باب كراهة الطروق .. الخ .

دخول البيوت العامة

تتناول آيات الاستئذان الحديث عن آدابه لدخول :

(أ) البيوت الخاصة ٠

(ب) البيوت العامة ٠

وقد تناولنا فى النقطة السابقة الحديث عن آداب الاستئذان فى دخول المرء بيوت الغير ، سواء أكان هذا الغير ، أجنبيا أم غير أجنبى ٠

ولما كان قول الحق تبارك وتعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) الآية ٠

عام فى جميع : الأحوال ، والأوقات ، والأشخاص ، سواء أكانت هذه البيوت بها أحد ، أم ليست كذلك ٠

فاننا نجد أن الحال فى قوله تعالى :

(ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) ٠

أخص من ذلك ، حيث أن الحديث هنا : خاص بالبيوت التى يتوافر فيها شرطان :

الشرط الأول : كونها (غير مسكونة) ٠

الشرط الثانى : أن يكون للشخص فى دخولها منفعة (فيها متاع لكم) ٠

وذلك مثل :

المحلات التجارية : المدارس ، الفنادق ، وكذلك جميع المرافق العامة .

ولما كان هذا الاذن العام بدخول هذه الأماكن العامة ، قد يستتبعه دخول بعض الناس الى هذه الأماكن لأغراض غير مشروعة ، بسبب هذا الوضع بها من حيث، عموميتها ، وعمومية الانتفاع بها :

فقد ذيل الله تعالى هذا التصريح العام ، بتحذير الى جماعة المؤمنين ، من عواقب سوء استعمال هذه المرافق العامة ، وعدم مشروعية نوايا بعض الداخلين اليها ، بقوله تعالى .

(والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) .

أى : فان دخل أحد فى موضع من هذه المواضع ، باسمها الظاهر ، ولمنفعتها البادية ، ونيته غير ذلك ؛ فالله تعالى عليم بما أبدى ؛ وبما كتم ، يجازيه عليه ، ويظهره منه (٢٤) .

وذلك :

حتى يضمن المولى سبحانه وتعالى لهذه المرافق العامة : حسن استعمالها ، ونظافتها ، ودوام نفعها ، وتلافيا لأن تكون : بؤرة افساد ، ومركز اضرار بالمجتمع الاسلامى .

* * *

---

(٢٤) ابن العربى : احكام القرآن ١٣٥٢/٣ .

هذا أدب الاســـلام ، وهـــذه هى قواعده لدخول الأماكن العامة ٠

أما الآن : وقد تبدلت الحال غير الحال والناس غير الناس ، فقد أصبحت بعض الأماكن العامة تدار لأغراض ظاهرها النفع العام ، وباطنها يموج بالفتن والمفاسد ٠

والأدهى من ذلك : أن كثيرا من المحلات العـــامة تدار - وفى هـــذا البلد الاســـلامى - وظاهرها لأعفن الأغراض وأبشعها ، وأبعدها عن مجتمع الاسلام ٠

وان عمومية هذه الأماكن ، وكثرتها ، لمشجع على افساد شباب هـــذه الأمة ، ومضيع للجهود التى تبذل للنهوض بمستوى هذا البلد وأهله ، وان الأمل كبير فى حكوماتنا : أن تحافظ بشرطتها ، ورجال آدابها ، على حسن استعمال المرافق العامة ، وعدم ادارة ما يساعد على افساد أبناء الأمة منها ٠

الاستئذان داخل البيت الواحد

(أ) تمهيد :

ولما فصل الله تعالى آداب الاستئذان بالنسبة لدخول البيوت الخاصة ، والافادة من الأماكن والمرافق العامة ، ووضح ذلك النبى عليه الصلاة والسلام بأقواله وأفعاله ، على النحو الذى تقدم : أتبعه سبحانه وتعالى بما يوضح آداب الحركة داخل البيت الواحد ، وقواعد الاستئذان بين أفراده ، والمقيمين فيه ، حيث قال تعالى ٠

(يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ٠٠) الخ ٠

ونلاحظ : أن آيات الاستئذان بين أفراد البيت الواحد ، قد تأخرت عن آيات الاستئذان لدخول بيوت الغير والأماكن العامة ٠

وكذلك : قد فصل بينهما بثمان وعشرين آية ، تتضمن التمهيد الذى يوجب الامتثال بالأوامر ، والنواهى الواردة فيها (٢٥) ٠

وكل هذا : زيادة اعتناء ، وشدة اهتمام بهذا النوع من الاستئذان الداخلى ، خاصة : وأنه غير سهل التنفيذ ، وغير ثابت المعيار فى التطبيق ، ويدخل فيه التساهل ، أكثر ما يدخل فى الاستئذان فى دخول بيوت الغير ، مما يترتب عليه من الأضرار والأخطار مالا تحمد عقباه ٠

ولذا ، ناسب أن يؤخره المولى سبحانه وتعالى ،

---

(٢٥) ابو السعود : ارشاد العقل السليم ٧٢/٤ ٠

ويفصل بين النوعين على هذا النحو ، حتى يقدم لهم من آياته البينات ما يجعلهم :

(اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقـولوا سمعنا وأطعنا) (٢٦) ٠

حتى ولو خفيت عليهم علل هذه الأحكام ٠

بينما الاستئذان الأول : ظـاهر الضرورة بالنسـبة للجميع ٠

ولـذا : ناسب أن يـأتى به مبـاشرة عقب آيـات العلاج ، دون احتياج الى هذا الفاصل ، بين الاستئذان العام وبين الخاص ٠

(ب) القاعدة :

ونلاحظ ـ أيضا ـ أن القاعدة الأساسية ، التى تفهم من آيات هـذا النوع الداخلى من الاستئذان ، هى : أن لا يستأذن الخدم ، والعبيد ، والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، على أهل البيت الواحد ، فى جميع الأوقات ٠

وذلك : بحكم المصالح البيتة ، والضرورات المعيشية، التى تعوق سهولة الحركة فيها ، فرضية الاستئذان على مثل هؤلاء ، فى جميع الأوقات ٠

(جـ) الاستثناء :

وكان الاستثناء من هـذه القاعدة : هـو فرض الاستئذان على هـؤلاء المذكورين ، فى هـذه الأوقات الثـلاثة ٠

---

(٢٦) النور ٥١ ٠

(د) سبب هذا الاستثناء :

وكان هـذا :

اعترافا بحق صاحب البيت فى أن يختلى بنفسه ، وينفرد فى بيته ، فى هذه الأوقات .

وتمكينا للمسلمين : من التحفظ على أسرارهم ، والحصول على راحتهم فى بيوتهم ، بشتى الطرق .

وتنبيها للمسلمين ـ كذلك ـ على الحذر من فرط الأمان ، للخدم ، والعبيد ، والأطفال الصغار .

وهو فى نفس الوقت : رفع للحرج عن أهل البيت الواحد ، بسبب أن هؤلاء (طوافون عليكم بعضكم على بعض) ولو لم يوجد هذا الاستثناء ، على هذا النحو ؛ لكان فى ذلك : حرج ومشقة شديدين .

وأن هذا الاستثناء ، بفرض الاستئذان ، فى هـذه الأوقات الثلاثة بالذات : انما هـو لمصلحة المسلمين ، والعمل على توفير أسباب الراحة لهم ، حتى داخـل بيوتهم ؛ اذ أن هذه الأوقات الثلاثة : هى التى يحتـاج المرء أن يستريح فيها ، ويخلص من الكلف ، ومراعاة الواجبات نحو الغير ، وهى التى يحلو للمرء أن يطـرح فيها الاحتشام ، ويملك فى نفسه حرية التصرف ، فيختار الوضع الذى يروقه ، والهيئة التى توافقه ، وهو آمن من اطلاع الغير عليه ، مهما كان ذلك الغير ، وما منا الا من يشعر بأن لابد للمرء من وقت يتمتع فيه بالحرية الكاملة؛ وأى وقت هو أحوج فيه ـ الى هذا ـ من هـذه الأوقات الثلاث ؟

١ ـ وقت ما قبل صـــلاة الفجر : حين يستيقظ من نومه ، ويهب من فراشه ، فيخلع ثوبا ، ويلبس ثوبا ، ولعله بحاجة الى : تدليك بدنه ، أو الانة أعضائه ، ولكل امرىء عادته الخاصة به ٠

٢ ـ ومن بعد صلاة العشـاء : حيث يكون قد فــرغ من عمله ، وانتهى من عبـــادته ، وركنت نفسه الى أن يأوى لفراشه ، فهو يخلع ثياب اليقظة ، ويلبس ثيـــاب النوم ، وربما كان يميل الى الأنس بأهله ، فلا منغص له فى هـــذه الحالة : أكثر من أن يفاجأ بدخيل عليه ، مهما صغر سنه ، أو قوى اتصاله به ٠

٣ ـ وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة : وهو الوقت الثالث ، وهــو ليس محدودا فى ذاته ، تحديدا تاما ، فرب أمرىء دعاه عمله الى تعجيل القيلولة ، وآخر يرى صـــالحه فى تأخـيرها ، وقـد يسـتغنى عنهـــا ثالث بالمرة (٢٧) ٠

(هـ) عود على بدء :

ولما تعرضت هـــذه الآيات للأطفـــال ، ووجــوب استئذانهم فى هذه الأوقات الثلاثة : عقبت عليه بحــكم يتعلق بهم ، ويناط تنفيذه ببلوغهم سن العقل والتميز ٠

(واذا بلغ الأطفـــال منـكم الحلم فليستأذنوا كمـــا استأذن الذين من قبلهم) ٠

أى : يتغير حكمهم ووضعهم ، ويفــرض عليهم من أدب الاسـتئذان ، وقواعده ، ما يفرض على غيرهم من

---

(٢٧) ابراهيم الجبالى : تفسير سورة النور ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ٠

الأجانب ، الذين سبق حكمهم ، متى أرادوا دخول بيوت الأجانب عنهم ، أو بيوت الأقارب اليهم ٠

ومن هـــذه اللفتة الكريمة ؛ والتنبيه الالهى الحكيم نفهم :

١ - أن الأطفال : يتغير وضــعهم فى بيتهم ، وبين ذويهم ، بتغير سنهم ، وادراكهم ، تغيرا يهدف المحافظة على أسرار البيوت ، وحرية أصحابها فى التمتع بأوقاتهم فيها ، والعمل بقـــدر الامكان على عدم الاطـــلاع على العورات ٠

٢ - أنه : غير مسموح - داخـــل البيت الواحـــد - بدخول أحد على أحد دون استئذان ، سوى دخول الزوج على زوجته ، أو الزوجة على زوجها ٠

٣ - أن البيت الاسلامى : محصن ، ومصـــان ، الى أبعد الحدود ؛ تلافيـــا للفتن ، ودرء للمفاسد ، وقتـــلا للشبهة ٠

وذلك : بفرض طلب الاستئذان فى دخوله ، بالنسبة للأجنبى ، والقريب ، على السواء ٠

وتمام صيانته : بفرض طلب الاستئذان - كذلك - داخل البيت الواحد ، بين أفـــراده أنفسهم ، فى أوقات معينة ، تستوجبها الضرورة ٠

ولهذا كله ٠٠ !

ناسب أن يختم المولى سبحانه وتعـــالى تتميم آيات الاستئذان بقوله تعالى :

(كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) .

أى : بمثل هذا البيان ، الشافى ، الوافى ، يبين الله تعالى لكم : الآيات ، والأحكام ، والقواعد ، التى تنفعكم ، وهو سبحانه وتعالى : عليم بما يناسب مصالحكم من تشريع ، عليم بمن يمتثل أحكامه منكم ، وبمن يخالفها ، حكيم فى جميع أفاعيله ، فيشرع لكم ما فيه : صلاح أمركم ، معاشا ، ومعادا (٢٨) (×) .

---

(٢٨) أبو السعود : ارشاد العقل السليم ٧٤/٤ .

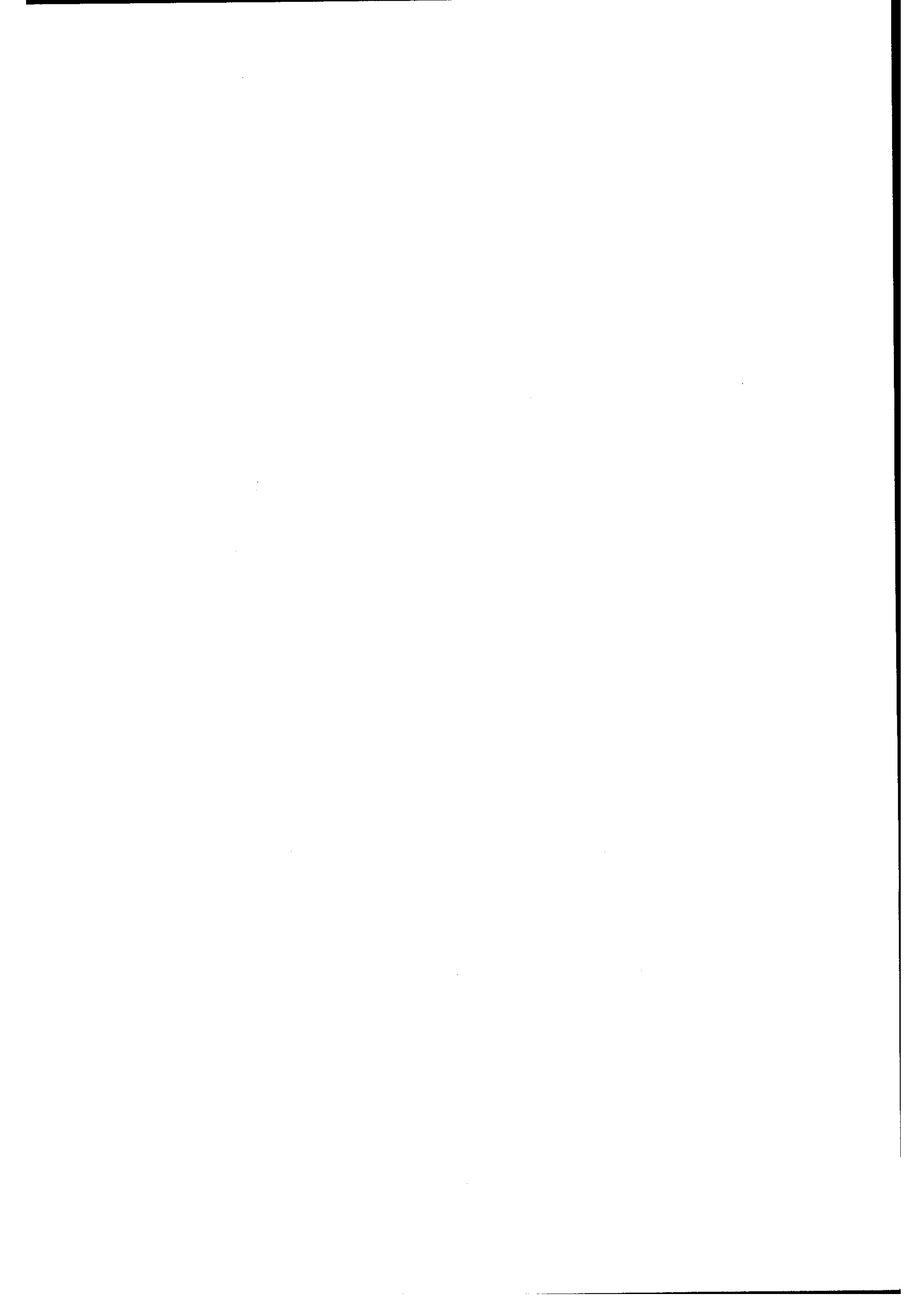
(×) نشر هذا البحث ، فى كتابنا « البداية فى التفسير الموضوعى » قبلا ، الا أن : اضافات له ، وتخريج لأحاديثه ، وتهذيب لبعض نقاطه ، اقتضت اعادة نشره فى هذا الكتاب .

البحث : الحادى عشر

الموت

(... ذلك ما كنت منه تحيد) !!!

- طبيعة الموت
- موقف المفكرين منه
- حتمية الموت وعموميته
- فضل ذكره وفائدة ذلك
- سكرات الموت
- علامات الموت
- جسد الميت
- تحولات جسد الميت
- الموت انتقال من دار الى دار



طبيعة الموت

الموت : موضـوع كريه ، مزعج ، لا يشـجع علـى التفكير ، أو الحديث فيه ٠

وقد وصف القرآن الكريم حدوثه « بالمصيبة » ، فى قوله تعالى :

(فأصابتكم مصيبة الموت) (١) ٠

هو كريه مزعج : لأن الانسان بطبيعته يخشى الموت، ويحب الحياة ٠

وفى الحديث الشريف « قلب الشيخ شاب على حب اثنتين : طول الحياة ، وحب المال » (٢) ٠

وهو لذلك : ينفر من سماع هـذا الاسم ، وينفر كذلك : من دراسة هـذا الموضوع ، ودليـل بسيط على ذلك : انك تجد من الناس من يشكو مر الشكوى مما فى هـذه الحياة الدنيـا من : ألم ، ومعـاناة ، وبؤس ، وشقاء ٠٠ الخ ، لكنه رغم ذلك كله ! يتشبث بها بقوة ، حتى انه يستعيذ بالله اذا طرقت أذنه كلمة الموت ، بل ان المحتضر نفسه ، وهو على فراش الموت : يكره أن يسمع كلمة الموت ٠

وهذا الكلام : لا يصـدق على الانسان العـادى فحسـب ، بـل انـه يصـدق ـ كذلك ـ على المفـكرين والفلاسفة ٠

---

(١) المائدة ١٠٦ ٠

(٢) رواه : مسلم ـ كتاب الزكاة ـ باب كراهية الحرص على الدنيـا ٠

وليس أدل فى تصوير ذلك ـ مع اختلاف الدوافع ـ مما يروى من « أن عيسى عليه السـلام : كان اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما » (٣) ٠

* * *

وهو موضوع ينطوى على كثير من المفارقات : وهذا واضح من مجرد النظرة العابرة الى طبيعته ٠

فطبيعة الموت : هى الكلية المطلقة ٠

اذ أن جميع البشر فانون ٠

والقرآن الكريم يقرر هـذه القـاعدة فى أكثر من موضع :

للأنبياء ٠٠

حيث يقول رب العزة لنبيه صلى الله عليه وسلم ٠

(انك ميت وانهم ميتون) (٤) ٠

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخـلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخـير فتنة والينا ترجعون) (٥) ٠

وللمؤمنين ٠٠

حيث يقول سبحانه وتعالى (يا عبادى الذين آمنوا

---

(٣) الامام الغزالى أحياء علوم الدين ٤/٥٦٠ ٠
(٤) الزمر ٣٠ ٠
(٥) الأنبياء ٣٤ ، ٣٥ ٠

ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون كل نفس ذائقـة الموت ثم الينا ترجعون) (٦) ٠

ولجميع النـاس ٠٠

حيث يقول عز وجل (كل نفس ذائقة الموت وانمـا توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) (٧) ٠

وفى قاعدة عامة يقول سبحانه وتعالى :

(كل من عليها فان) (٨) ٠

ولهذا قيـــل : ان الموت يتبع مع الجميع سـياسة « ديمقراطية » تقوم على المســاواة المطلقة ـ ان صـــح تعبيرهم ـ ٠

فهو : لا يعرف التمييز بين العبـــاقرة والسوقة ، أو بين العلماء والجهال ، أو بين الشـــبان والشيوخ ، أو بين الخيار والأشرار ٠٠ الخ (٩) ٠

ووجه المفارقة هنـــا : أنه رغم هــذا الطابع الكلى المطلق الذى وضح جيدا ، فان الموت يحمل فى طبيعته فى نفس الوقت : الجزئية المطلقة ٠

وبيان ذلك : أن الموت فردى ، وشخصى ، وخاص جدا ، فكل منا : لابد أن يموت وحـده ، ولابد أن يموت

---

(٦) العنكبوت ٥٦ ، ٥٧ ٠

(٧) آل عمران ١٨٥ ٠

(٨) الرحمن ٢٦ ٠

(٩) انظر : مشكلة الحياة د٠ زكريا ابراهيم ص ٢٠٣ ٠

هو نفسه ، ولا يمكن أن يموت نيابة عن غيره ، أو بدلا منه ٠

ويقرر القرآن طبيعته هذه فى قوله تعالى :

(ولقـــد جئتمونا فرادى كمـــا خلقنـــاكم أول مرة) (١٠) ٠

* * *

ومن المفارقات التى ينطوى عليها موضــوع الموت كذلك :

أنه يجمع بين « اليقين » و « عدم اليقين » ٠

وبيان ذلك : أنى أعرف يقينا ، أننى سأموت :

(كل نفس ذائقة الموت) ٠

ولسنا الوحيدين فى ذلك : بل الجميع ٠

(كل شىء هالك الا وجهه) (١١) ٠

وأعرف أيضا ، ويقينا : أن ذلك فى ساعة محددة ، ووقت معلوم ، لا تقديم فيه ، ولا تأخير عنه ٠

(لكل أجل كتاب) (١٢) ٠

(ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها) (١٣) ٠

---

(١٠) الأنعام ٩٤ ٠
(١١) الرعد ٣٨ ٠
(١٢) الرعد ٣٨ ٠
(١٣) المنافقون ١١ ٠

وكذلك :

(لكل أمة أجـل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (١٤) ٠

لكننى !!!

أجهل يقينا : متى ، وأين ، سيكون ذلك ؟

بل : كان هذا الأمر ، أحد المغيبات الخمس ، التى اختص الله سبحانه وتعالى بعلمها ، دون غيره ٠

(ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت) (١٥) ٠

نعم ٠٠

(وما تدرى نفس بأى أرض تموت) ٠

لكن الله سبحانه وتعالى ، وحده ، يدرى بالزمان ، وبالمكان ، الذى فيه ، وعليه كل نفس تموت ٠

وغيره أبدا بذلك لا يدرى ٠٠ !!

وان من يحاول أن يدرك لطف الله بالانسان : يعرف أن السر فى ذلك ، هو فى غاية الوضوح ، واليسر ٠

ذلك : أن الذى يعـرف مكان موته ، ونهاية أجله ، سـوف لا يذهب اليه ، أعتقـد أنه لن يذهب هنـاك

---

(١٤) الأعراف ٣٤ ٠

(١٥) لقمان ٣٤ ٠

الا القليل والقليل جدا ، وهى فئة معينة تذهب للموت ولو لم تعرف مكانه ، بل ان غالبية البشر لن تذهب الى هذا المكان أبدا أو على الأقل فى اللحظة المعينة المعروفة، ولو كان هذا الأمر على هـذا : لحدث بذلك تعـارض شـديد - وحاشا لله - بين علمه بمكان موت الانسـان وقضائه فى اماتته ، وبين امتناع الانسـان عن الذهاب الى هـذا المكان ، وعدم رغبته فى تسليم نفسه للموت طائعا مختارا ·

وأيضـا : فالذى يعرف زمان موته ، سيكون لهـذه اللحظة أسيرا ، وتفكيره فيها كثيرا ، فاقد الأمل ، عديم الرغبة للعمل حتى ولو كانت بعد زمن بعيد ، اذ أن كل انسـان يتصرف وكأنه سيعيش الدهـر كله ، وسيمتلك الدنيا بأسرها ، ولولا جهله بيوم موته ، ما أكل ولا شرب، ولأصبحت الطـاعة جبرا ، والبعد عن المعاصى قهرا ، ولفقد نعمة الاختيـار ، وفضيلة الترجيح ، ولأصـبحت الحيـاة : بـلا طعم ولا لون ولا رائحـة ، الكل يعيش بلا أمل ، ويسير نحو موعد ومكان يسلم نفسه فيه للموت·

انه لون غريب من الحياة ·· نجد النـاس فيه - لو كان - سـكارى حيارى يرتدون جميعا حلل التعـاسة واليأس ·

ثم نصل الى السر فى هـذه الطبيعة ، التى تبدو متناقضة :

ذلك :

أن من يتأكد يقينا : من موته ·

ويتأكد - فى نفس الوقت - يقينا : من جهلة ، وجهل غيره ، بمكان وزمان موته ·

ويتأكد ثالثا : من أن :

(الله يتوفى الأنفس حين موتها) (١٦) ٠

وحده ، سبحانه وتعالى ٠

أى : لا يعلم ـ هو ولا غيره ـ زمان موته ، ولا يعلم ـ هو ولا غيره ـ مكان موته ، ولا يقدر ـ هو ولا غيره ـ على اماتته ، الا الله سبحانه وتعالى ٠

ان من يتأكد من كل ذلك !!

تنخلع من فؤاده : كل أسباب الخوف ، من غير الله سبحانه وتعالى ٠

وتتلاشى من جوانحه : كل ألوان الضعف ، لغير الله سبحانه وتعالى ٠

وتنتفى من عقله : كل صور التسليم ، والاستسلام ، الا لله سبحانه وتعالى ٠

وان انسانا : هذه صفته ، وذلك : فكره ، وايمانه ٠٠ !!

لهو الانسان الصالح : لأن يكون خليفة لله تعالى فى هذه الأرض ٠

(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن

---

(١٦) الزمر ٤٢ ٠

نســـبح بحمدك ونقـــدس لك قـــال انى أعـــلم مالا تعلمون) (١٧) ٠

وهو الانسان الصالح : لعمارة الكون ٠

(وكذلك جعلناكم أمة وســطا لتكونوا شــهداء على الناس) (١٨) ٠

وهو الانسان الصالح : لقيادة العالم ٠

(كنتم خير أمة أخرجت للنـــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١٩) ٠

وموضـوع الموت اذا : من الموضـــوعات الجديرة بالاحترام ، والعناية ، والدراسة ٠

---

(١٧) البقرة ٣٠ ٠
(١٨) البقرة ١٤٣ ٠
(١٩) آل عمران ١١٠ ٠

موقف المفكرين منه

وفعلا شغل الأذهان البشرية بالعناية به ، وجذب اهتمامهم حوله .

فذهب بعض الناس : الى أن الموت يعنى الفناء .

وقد حكى القرآن الكريم مقولة هذا الفريق .

اذ يقول سبحانه وتعالى :

(وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) (٢٠) .

ويقول سبحانه وتعالى كذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم :

(ولئن قلت) للمشركين من قومك (٢١) : (انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) (٢٢) .

وهذا الفريق : ينكر بناء على ذلك كل ألوان الثواب والعقاب البرزخى والأخروى ، ويحيا لاهيا ، وينكر ما ينكر معاندا جاهلا .

وذهب بعض آخر : الى أن الموت فى الدنيا ، ليس نهاية كل شىء ، وانما هو نهاية لمرحلة من الحياة ، وبداية لأخرى منها .

ولذلك : يجب العناية به ، ودراسته ، والاستعداد

---

(٢٠) الأنعام ٢٩ .
(٢١) ابن جرير الطبرى ـ جامع البيان ٥/١٢ .
(٢٢) هـود ٧ .

له ، والعمل لما بعده ، وعدم تجاهله ، والهروب منه ، أو تناسيه ، ما دام هذا الأمر ليس عدما ، بل هو انتقال من مرحلة الى مرحلة ، ومن حياة الى حياة ، فلابد اذا من دراسته ، ودراسة ما بعده .

* * *

وان عدم اهتمـــام المفكرين بدراســة الموت ، ليس الا فرارا من مواجهة هذا الموضوع الهام .

كما أن خوف الناس من الموت هو الذى حدا بهم الى تجاهل التفكير فيه ، أو العمل على تناسيه (٢٣) .

وعلى ذلك فالموت أمر : ـ

حتمى وعام .

لابد من دراسته .

وتذكره دائما .

ومعرفة ما بعده : من حياة برزخية ، ومن حيـــاة أخروية .

والاستعداد لهذا السفر الطويل .

---

(٢٣) انظر : د. امام عبد الفتاح امام مقدمة كتاب « الموت فى الفكر الغربى » .

حتمية الموت وعموميته

نعم .. هو أمر حتمى .

كما اتضح لنا من كتاب الله تعـــالى فيما قدمنا من آيات كريمة .

ومن قراءة كتاب التـــاريخ الطويل للبشرية التى طواها الموت ، بغلالاته وأغلاله الثقيلة .

وفيما تصوره لنا هذه الأقوال الحكيمة .

وقد صور هذه الحتمية شـعرا أمية بن الصـــلت فى قوله (٢٤) :

من لم يمت عبطة يمت هـرما
للموت كأس وكل الناس ذائقها

وقال آخـر :

والموت باب وكل الناس داخله
فليت شعرى بعد الباب ما الدار ؟

ويروى أن الرشيد ، لمـا يئس من الشفاء على يـد طبيبه ، قال (٢٥) :

ان الطبيب بطبـــه ودوائـــه
لا يســـتطيع دفــاع نحب قدأتى

---

(٢٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٩٧/٤ .
(٢٥) القرطبى : التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخـــــرة ص ٣٧ .

ما للطبيب يمـوت بالداء الذى
قد كان يبرىء مثله فيما مضى

مات المداوى والمداوى ، والذى
جلب الدواء وباعه ومن اشترى

ويصور الامام الحسن البصرى هـذه الحتمية وتلك العمومية للموت ، بصورة : مفزعة ، مخيفة ، مفيدة .

اذ يقول : ما من يـوم الا وذلك الموت يتصـفح كل بيت ثلاث مرات ، فمن وجده منهم قد اسـتوفى رزقه ، وانقضى أجله ، قبض روحه .

فاذا قبض روحه : أقبل أهله برنة وبكاء .

وهنا : يأخذ ملك الموت بعضادتى الباب ، فيقول : والله ما أكلت له رزقا ، ولا أفنيت له عمرا ، ولا انتقصت له أجـلا ، وان لى فيكم لعـودة بعد عودة ، حتى لا أبقى منكم أحدا .

يقول الحسن : فوالله : لو يرون مقامه ، ويسمعون كلامه ، لذهلوا عن ميتهم ، وبكوا على أنفسهم (٢٦) .

ومن هنا ، ولهذا :

وجب ذكره كثيرا ، ودراسته ، والحديث عنه طويلا، وعدم الهروب من ذلك .

---

(٢٦) الامام الغزالى احياء علوم الدين ٤/٥٨١ .

فضل ذكر الموت وفائدة دراسته

وعدم الهروب من دراسة هذا الأمر الذى لا مهرب منه : شىء ضرورى ، ومنطقى من كل عاقل ، أملا فى الوصول الى : وسائل النجاة من أخطاره ، والحد من الأهوال التى يقود اليها ٠

وقد حث على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **حيث يقول : « أكثروا من ذكر هادم اللذات » (٢٧) ٠**

ففى دراسته ، وتذكره : احترام الانسان لنفسه ، وحث على استعداده لما بعد الموت ، ودعوة الى حسن عبادته لله تعالى ، وارشاد له الى : اسلام وجهه ، ونفسه ، وماله ، وولده ، لله سبحانه وتعالى ٠

فلا يكون لديه : اذعان الا لله تعالى ٠

ولا يكون عنده : خوف الا من الله تعالى ٠

وهنا : يدفعه الاذعان لله تعالى ، الى الاخلاص له سبحانه وتعالى فى كل ما يقوم به من عمل ، وفى كل ما يؤديه من عبادات ، وفى كل ما يكون منه من تعاملات ٠

وعموما : يدفعه الى حسن خلافته لله تعالى على هذه الأرض ٠

وكذلك : يدفعه الخوف من الله وحده ، الى تحرره من كل ألوان الخوف ، التى تعوقه عن القيام بمهمته الأساسية ، وهى : عبادته لله تعالى ، ودعوته لدين الله تعالى : أمرا بالمعروف ، ونهيا عن المنكر ٠

---

(٢٧) رواه الترمذى ـ كتاب صفة القيامة ـ باب ٢٦ ٠

فلا يكون لديه خوف : من جهة الرزق ٠

ولا يكون عنده خوف : من غير الله سبحانه وتعالى أيا كان مصدر هذا الخوف ٠

وهنا : يدفعه هذا الأمن وهـــذا التحرر الى : حسن أدائه لرســالته ، وكمال قيــامه بمهمته ، فان الله (هو الرزاق ذو القوة المتين) (٢٨) ، فلا رازق الا هو ، ولا باسط فى الرزق الا هو ، ولا قابض فى الرزق الا هو ، كمـــا أن الرزق فى الســـماء (وفى الســماء رزقكم وما توعدون) (٢٩) ولا يملك السماء وما فى الســماء ومن فى السماء الا الله سبحانه وتعـــالى (ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون) (٣٠) ٠

اذن فلا يملك الرزق بشر ، أيا كان موضـــعه ؟ وأيا ما كانت صفته ؟

اذن : فلا خوف من جهة الرزق ٠

وكذلك : لا خوف من غير الله سبحانه وتعالى ٠

فلا خوف الا من الله ، ولا اذعان الا لله ، ولا خضوع الا لله ، ولا تذلل الا لله ٠

وعلى ذلك فالموت للمؤمن:أمن لا خوف ، عز لا ذل، قوة لا ضعف ٠

ولا يقبل الاسلام من المؤمن : خوفا ، ولا ذلا ، ولا ضعفا ، ولا فقرا ، الا لله سبحانه وتعالى ٠

---

(٢٨) الذاريات : ٥٨ ٠
(٢٩) الذاريات : ٢٢ ٠
(٣٠) الحجز : ٢١ ٠

ولا يرضى منه الا إن يكون : آمنا ، عزيزا ، قويا ، غنيا •

« وقد رأى عمر رضى الله عنه رجلا مطأطئا رأسه ، فقال : ارفع رأسك ، فان الاسلام ليس بمريض •

ورأى رجـــلا متماوتا ، فقال : لا تمت علينا ديننا أماتك الله » (٣١) •

وفى حديث عائشة رض الله عنهـــا : « نظرت الى رجل كاد يموت تخافتا ، فقالت : ما لهذا ؟ قيل انه من القراء ، فقالت : كان عمر ســـيد القراء ، وكان اذا مشى اسرع ، واذا قال أسمع ، واذا ضرب أوجع (٣١) •

* * *

وهذه : دعوة الى الأمن ، دعوة الى العزة ، دعـــوة الى القوة •

وهذه بالتالى : قمة الحرية ، التى يرنوا اليهـــا كل انسان عاقل ، ويتطلع اليها أى نظام عادل نظيف ، والتى لم يصل ـ ولن يصل كذلك ـ اليها أى نظام من الأنظمة التى صنعها الانسان ، وقيد بها حرية أخيه الانسان •

وبهذه الحرية •

وبهذا الأمن •

وبهذه العزة •

وبهذه القوة •

---

(٣١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة « موت » •

كانت هذه الأمة ـ بالقوة دائما ، وبالفعــــل عندما يتحقق لها ذلك ـ خير أمة أخرجت للناس ٠

(كنتم خير أمة أخرجت للنــــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١٩) ٠

* * *

وأعود بالقــــارىء الكريم الى موضوعنا ســــائلا : أليست هـــــذه الحرية وليدة المعرفة الوطيدة بالموت ، والدراسة الجادة له ، والعمل الطيب لما بعده ؟

بلى !! وألف بلى !

ولهذا : وفى دعوة الى الحــــرية ، الى الأمن ، الى العزة الى القوة ٠

يقول الله تعالى :

(يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واســــعة ، فاياى فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون) (٦) ٠

فلا تمنعكم عن العبادة قيود ، ولا يبعدكم عنهــــا ظالم ، ولا يشغلكم عنها كسب رزق ، ولا يصدكم عن ذلك خوف من الله تعالى ٠

وذلك لأنه : لا يملك النفس الا الله ، هو الذى يحى ويميت ، بل هو ٠

(الذى خلق الموت والحياة) (٣٢) ٠

---

(٣٢) الملك : ٢ ٠

فلا أحد يملك ازهاق الروح ، ولا أحد سواه يستحق أن يعبد ٠

ولا عودة فى نهاية الرحلة الدنيوية الا الى الله ٠

ومادام الأمر كذلك !!

فمن من الناس : يساورهم الخوف ؟ أو يهجس فى ضميرهم القلق ٠؟؟ بعد هذا اليقين ، وهذا التحرر !!

اليقين : الذى يريح النفس ، ويثلج الصدر ٠

التحرر : الذى يضع عنهم اصرهم ، والأغلال التى تفرض عليهم ، وتكبل بها طاقاتهم ، وتستبعد ـ لغير الله ـ بها أنفسهم ٠

وبالتالى : ينجب الأمن ، والعزة ، والقوة ٠

* * *

ولهذا كذلك :

قال عمر بن عبد العزيز لصديق له : « أكثر ذكر الموت ، فان كنت واسع العيش : ضيقه عليك ، وان كنت ضيق العيش : وسعه عليك » (٣٣) ٠

وفى ارشاد الى اعداد العدة وتوجيه الدفة ٠

« لما مر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بمقابر الكوفة ٠

قال : السلام عليكم أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع ٠

---

(٣٣) الامام الغزالى : احياء علوم الدين ٤/٥٦٠ ٠

أما الأزواج : فقد نكحت ٠

وأما الديار : فقد سكنت ٠

وأما الأموال : فقد قسمت ٠

ثم قال : هذا خبر ما عندنا ، فما خبر ما عندكم ؟

والتفت الى أصحابه ٠

فقال : أما انهم لو تكلموا لقالوا : وجدنا خير الزاد التقوى » (٣٤) ٠

ولذا أنشد بعضهم (٣٥) :

تزود من معاشك للمعاد
وقم لله وأعمل خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيرا
فان المال يجمع للنفاد
اترضى أن تكون رفيق قوم
لهم زاد وأنت بغير زاد

وقيل : « ما دخل ذكر الموت بيتا ، الا رضى أهله بما قسم الله لهم ، وجدوا فى أمر الآخرة » (٣٤) ٠

---

(٣٤) الراغب الاصفهانى : محاضرات الادباء ٤٨٤/٤ ٠
(٣٥) القرطبى : التذكرة ، ص ١١٨ ٠

سـكرات الموت

والسكرات : جمع سكرة ، وهى مأخوذة من السكر ٠

والسكر ، حالة تعرض بين المرء وعقله ٠

وأكثر ما يستعمل : فى الشراب المسكر ٠

ويطلق فى : الغضب ، والعشق ، والألم ، والنعاس، والغشى الناشىء عن الألم ٠

والأخير : هو المراد هنا (٣٦) ٠

وأكثر شىء فى الموت ، افزاعا وتفزيعا ، وألما وايلاما : هو سكرة الموت ٠

وقد أسماها القرآن الكريم : سكرة ٠

فى قوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ٠ اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ٠ ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ٠ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) (٣٧) ٠

كما أسماها : بالغمرات ٠

فى قوله تعالى : (ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم) (٣٨) ٠

---

(٣٦) ابن حجر : فتح البارى ، ٣٦٢/١١ ٠
(٣٧) ق : ١٦ ــ ١٩ ٠
(٣٨) الانعام : ٩٣ ٠

كما شبه القرآن الكريم الخائف خوفا شديدا بمن هو فى سكرة الموت ٠

حيث قال تعالى : (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت) (٣٩) ٠

وذلك : لذهاب عقولهم ، حتى لا يصح منهم النظر الى جهة محددة (٤٠) ٠

وحيث قال تعالى : (ويقول الذين آمنوا لولا أنزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) (٤١) ٠

أى كمن يشخص بصره عند الموت ، وذلك لجبنهم وخوفهم (٤٢) ٠

***

وهى فى نظر الطب : عبارة عن توقف الأعمال الحيوية فى الجسم ، نتيجة لتوقف أجهزة وضعها البارى سبحانه وتعالى فى البدن ٠

وهذه الأجهزة هى : الجهاز الدورانى ، والجهاز العصبى ، والجهاز التنفسى ٠

وبهذا التوقف : يكون الشخص غير قابل للانعاش، ثم تحدث تغيرات بالجسم ، تمنعه من العودة الى الحياة وسنعرض لها بعد قليل ٠

---

(٣٩) الأحزاب : ١٩ ٠
(٤٠) القرطبى : جامع البيان ، ١٤/١٥٣ ٠
(٤١) محمد : ٢٠ ٠
(٤٢) القرطبى : جامع البيان ، ١٦/٢٤٣ ٠

وهنا يقال : ان الشخص قد مات (٤٣) ٠

ألا أيهـــا المغـــرور مالك تلعب
تؤمـــل آمـــالا وموتك أقـــرب
وتعلم أن الحـــرص بحر مبعـد
سفينته الدنيـــا فاياك تعطب
وتعلم أن الموت ينقض مســـرعا
عليك يقينـــا طعمه ليس يعذب
كأنك توصى واليتـــامى تـــراهم
وأمهم الثكلى تنـــوح وتنـدب
تغص بحـــزن ثم تلطم وجههـــا
يراها رجال بعـد ما هى تحجب
وأقبل بالأكفان نحوك قاصـــد
ويحثى عليك الترب والعين تسكب(٤٤)

وعملية الموت هذه : تستغرق من الزمن حوالى عشر دقائق (٤٣) ٠

* * *

نعم : عشر دقائق فقط ٠

انه لأمر : هين ، يسير ، بمقياسنا للزمن !!

لكنه : صعب ، شديد ، طويل ، بمقياس الله سبحانه وتعالى :

(وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) (٤٥)٠

---

(٤٣) د٠ مؤنس محمود غانم اسرار الموت بين العلم والدين انظر : المجلة العربية ، مارس ١٩٨٤ ٠

(٤٤) انظر : القرطبى ـ التذكرة ، ص ٣٣ ٠

(٤٥) الحج : ٤٧ ٠

لكنه : صعب ، شديد ، طويل ، بمقياس الألم ٠

الألم : الذى يهون بجواره كل ألم !!!!

الألم : الذى جعل عائشة رضى الله عنهـا ، تقول : **« ما أغبط أحدا بهون موت بعد الذى رأيت من شـــدة موت رسول الله » (٤٦) ، صلى الله عليه وسلم ٠**

الألم : الذى جعل رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يستعين عليه بالله تعالى ، فيما روى عن عائشة أنهــا **قالت : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وســلم ، وهو بالموت ، وعنده قدح فيه ماء ، وهو يدخل يده فى القدح، ثم يمســح وجهه بالمــاء ، ثم يقول : اللهم أعنى على غمرات الموت ، أو سكرات الموت » (٤٦) ٠**

الألم :الذى قال عنه شداد بن أوس : الموت ، أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن ، وهو أشـــد من : نشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض ، وغلى فى القدور ، ولو أن الميت نشر ، فأخبر أهل الدنيا بالموت ، ما انتفعوا بعيش ، ولا لذوا بنوم (٤٧) ٠

الألم : الذى استعمله الامام على رضى الله عنه فى الحض على القتال ، وهو يقول : ان لم تقتلوا تموتوا ، والذى نفسى بيده : لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش (٤٨) ٠

وروى أن نفــرا من بنى اسرائيـــل مروا بمقبرة ،

---

(٤٦) رواه الترمذى : كتـــاب الجنـــائز ، باب ما جاء فى التشديد عند الموت ٠

(٤٧) الامام الغزالى : احياء علوم الدين ، ٤/٥٧٤ ٠

(٤٨) السابق : ٤/٦٠٦ ٠

فقال بعضهم لبعض : لو دعوتم الله أن يخـــرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه ؟!!

فدعوا الله تعالى !!

فاذا هم برجل قد قام ، وبين عينيه أثر السـجود ، قد خرج من قبر من القبور ٠

فقال : يا قوم ٠٠!! ما أردتم منى ؟ لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ، ما سكنت مرارته من قلبى حتى الآن ، فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت (٤٧) ٠

ألم أقل : ان سكرة الموت ، أكثر شىء فيه افزاعا ، وايلاما ؟؟!!

وجد مكتوبا على أحد القبور (٤٨) ٠

يا أيها النـــاس كان لى أمل
قصر عن بلوغـــه الأجـــل
فليتق اللـــه ربـــه رجـــل
أمـــكنه فى حيـــاته العمـل
ما أنا وحدى نقلت حيث تـــرى
كـــل الـــى مثلـــه ســـينتقل

علامات الموت

وللموت علامات : منها العامة ، ومنها الخاصة ٠

(أ) علامات عامة :

١ ـ برودة الجسم ، وانخفاض حرارة البدن ، حيث تهبط درجة مئوية واحدة فى الساعة (٤٣) ٠

٢ ـ نقص وزن الجثة ، بسبب نقص مائها (٤٣) ٠

٣ ـ اتساع حدقتى العينين، وعدم تأثرهما بالضوء٠

وهذا هو : شـــــخوص البصر ، الوارد فى الحديث الشريف ، الذى يرويه أبو هريرة رضى الله عنه ٠

حيث يقول : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم تروا الانسان اذا مات شخص بصره ؟ قالوا : بلى !! قال : فذلك حين يتبع بصره نفسه » (٤٩) ٠

ثم تغور العينان ، وتفقد بريقهما (٤٣) ٠

٤ ـ فقدان كل من : مرونة الجلد ، والحس (٤٣) ٠

٥ ـ توقف القلب ٠

ويعـــــرف ذلك : بانعــــدام النبض فى معصـــم اليد (٤٣) ٠

٦ ـ توقف النفس ٠

---

(٤٩) رواه : مسلم ـ كتاب الجنائز ـ باب فى شـــخوص بصر الميت يتبع به نفسه ٠

ويعرف ذلك : بانعـــدام الحركات فى الصـــدر ، والبطن ، ويمكن التأكد من وقوفه : اذا وضعنا ســـطح مرآة أمام الأنف والفم ، ولم تتشكل عليه طبقة ضبابية ٠

٧ - وفى المغنى لابن قدامة : ومن علامات الموت : -

استرخاء رجليه ٠

وانفصال كفية ٠

وميل أنفه ٠

وامتداد جلدة وجهه ٠ - أى ترهلها - ٠

وانخساف صدغيه (٥٠) ٠

وكل هـذه علامات تتوافر فى كـل من يذوق طعم الموت ٠

* * *

يضاف اليها علامات خاصة ، وهى :

(ب) علامات موت الصالحين :

١ - أن تذرف العينان الدموع ٠

٢ - أن يعرق جبينه ٠

٣ - أن ينتشر منخراه ٠

---

(٥٠) ٣٣٧/٢ ٠

ففى الحديث :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان نفس المؤمن تخرج رشحا » (٤٦) ٠

أى : يصاحب خروجها افراز الجلد للعرق ٠

وأظهر ما يكون هذا العرق : فى الجبين ٠

لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يموت بعرق الجبين » (٥١) ٠

وعنه صلى الله عليه وسلم :

« ارقبوا الميت عند وفاته » ٠٠!!

فاذا :

زرفت عيناه ، ورشح جبينه ، وانتشر منخراه : فهى رحمة من الله قد نزلت به ٠

واذا :

غط غطيط البكر المخنوق ، وكمد لونه ، وازبد شدقاه : فهو عذاب من الله قد نزل به » (٥٢) ٠

ومن هنا كانت :

(ج) علامات موت غير الصالحين ٠

---

(٥١) رواه الترمذى : كتاب الجنائز ـ باب « ما جاء ان المؤمن يموت بعرق الجبين » ٠
ورواه النسائى : كتاب الجنائز ـ باب « علامة موت المؤمن » ٠
(٥٢) انظر : كنز العمال ، ١٥/٥٦٢ ٠

١ - أن يغط غطيطا ، والغطيط : هو الصوت الذى يخرج مع نفس النائم (٥٣) .

٢ - أن يتغير لونه ، ويذهب صفاؤه .

٣ - أن يتزيد شدقاه ، أى : يخرج من جوفه رغـوة بيضاء كالزبد ، يتطلخ بها شدقاه ، أو جميع فمه .

* * *

ان الحبيب مـن الأحبـاب مختلـس
لا يمنـع المـوت بـواب ولا حـرس
فـكيف تفـرح بالدنيـا ولذتهـا
يـامن يعـد عليـه اللفظ والنفـس
أصبحت يا غافلا فى النقص منغمسا
وأنت دهـرك فى اللـذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهـل لغـرته
ولا الذى كان منـه العـلم يقتبس
كم أخـرس الموت فى قبر وقفت به
عن الجواب لسانا ما به خرس ؟ (٥٤)

---

(٥٣) انظر : لسان العرب - مادة : « غطط » .

(٥٤) الغزالى : احياء علوم الدين ٤/٦٠٦ .

جسد الميت

قال الفقهاء : يستحب المسارعة الى تجهيز الميت اذا تيقن موته ، لأن أصوب له ، واحفظ من أن يتغير وتصعب معالجته (٥٠) ٠

والمراد بتجيز الميت : غسله ، وتكفينه ، والصلاة عليه ، استعدادا لدفنه ٠

وكرامة الميت : تعجيله ، كما يقول الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه (٥٠) ٠

ولذا : يجب الاسراع بدفنه ٠

ومنذ فعل الغراب الذى بعثه الله ليوارى سوأة أخيه ، كما هو مذكور فى قوله تعالى :

(فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه) أى : ليرى قابيل (كيف يوارى سوأة أخيه) هابيل (قال) قابيل (يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى) (٥٥) ٠

صار فعل هذا الغراب ـ وهو الدفن ـ سنة باقية فى الخلق ، وفرضا على جميع الناس على الكفاية ، من فعله منهم : سقط عن الباقين ٠

وأخص الناس به : الاقربون ، الذين يلونه ، ثم الجيرة ، ثم سائر المسلمين (٥٦) ٠

وروى أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : «انى لا أرى طلحة الا قد حدث فيه الموت،فآذنونى

---

(٥٥) المائدة : ٣١ ٠

(٥٦) انظر : الجامع لاحكام القرآن ١٤٣/٦ ٠

به وعجلوا ، فانه لا ينبغى لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهرانى أهله » (٥٧) .

وعلى ذلك : فجسد الميت لابد وأن يوارى التراب ، وبقدر المستطاع من المسارعة فى ذلك ، مهما عظم قدر الميت ـ فى الدنيا ، أو بين أهله ـ أو حقر ، صغر أو كبر ، خامل الذكر كان ، أو نابه الشأن .

وصدق القائل (٥٨) :

الموت فى كل حين ينشر الكفنا
ونحن فى غفلة عما يداوينا
لا تطمئن الى الدنيا وبهجتها
وان توشحت من أثوابها الحسنا

سقاهم الموت كأسا غير صافية
فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

والاسراع فى الدفن : تكريم للميت ، وحماية للحى.

ويتضح ذلك من دراسة التحولات التى يمر بها ، أو التى تحدث لجسد الميت بعد وفاته .

وهى كما وضحها العلماء ، على النحو التالى : ـ

---

(٥٧) كتاب الجنائز ـ باب : التعجيل بالجنازة وكراهية حبسها .

(٥٨) انظر : القرطبى ، التذكرة ص ٥٩ .

تحولات جسـد الميت

تبدأ بعد الوفاة مباشرة عدة تبدلات : فزيائيـــة ، وكيميائية ، وجرثومية لجسد الميت ٠

وهذه التبدلات هى :

١ ـ التلون الرمى ٠

وهو : ظهور بقع زرقاء كبيرة أو صغيرة ، فى بعض مناطق الجسم المنخفضة ٠

والسبب فى ذلك : هو انحدار الدم ـ بتأثير الجاذبية الأرضية ـ الى هذه المناطق المنخفضة ، مثل : الظهر ، الاليتين ، الوجه الخلفى للأطراف ٠

وهذا التلون : يظهر بعد ساعتين من الوفاة (٤٣) ٠

وهذا التبدل : يســـاعد فى كثير من الحالات فى تحديد وضع الميت وهيئته ساعة الوفاة ٠

٢ ـ التيبس الرمى ٠

وهـــو : انقبــاض عضـــلات الجسم ، الارادية ، واللاارادية ٠

والسبب فى ذلك : تحول السكر المختزن فى العضل، الى حمض اللبن ، مع خســـارة الطـــاقة المختزنة فى جزئيات (الفليكوجين) ٠

وهذا : يفقد الخيوط العضـــلية خاصـــية المرونة والتقلص ٠

وهذا التيبس : يبدأ بعد ساعتين من الوفاة ، ويزداد تدريجيا ، حتى يعم الجسم كله ، بعد اثنتى عشرة ساعة ٠

ويبدأ هذا التيبس أولا : فى عضلات الفك السفلى، ثم الوجه ، ثم الجذع ، والطرفين العلويين ، وهكذا ٠

ويدوم انقباض العضلات بهذا الشكل : لمدة يومين بعد الوفاة ، ثم يزول بسبب تأثير التفسخ ، الذى يقلب التفاعل الكيماوى للأنسجة الميتة من التفاعل الحمضى الى التفاعل القلوى (٤٣) ٠

٣ ـ التعفن الرمى ٠

وهو : تعفن جسد الميت ، وانطلاق الغازات العفنة الكريهة منه ٠

والسبب فى ذلك :

(أ) تأثير الجراثيم : الهوائية ، واللاهوائية التى كانت عاطلة فى الامعاء قبل أن تجتاز الاغشية المخاطية للجسم عن طريق الدم ٠

هذا التأثير : يفسد المواد العضوية فى الجثة ، ومنها ـ وبسببها ـ تنتشر الغازات العفنة الكريهة ٠

(ب) تحول الانسجة الشحمية فى الجثة الى : مادة شمعية لبنية ، ذات أحماض شمعية مشبعة ، كهريهة الرائحة بشكل لا يوصف ٠

وتبعا لهذا وذاك : يتشوه منظر الجثة ، حيث ينتفخ البطن ، وكيس الصفن ، ثم يتبعه : الوجه ، والمقلتان ، حيث تجحظان ، ثم اللسان ، حيث يبرز من الفم ٠

وبفعل انطلاق الغازات : يخرج ما بالاحشاء من جميع الفتحات وهو على هذا الشكل القبيح ، والرائحة المنفرة ٠

وهذا التعفن : يبدأ بعد يومين من الوفاة ، ويستمر حتى أسبوع (٤٣) ٠

* * *

قال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : انك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره ، لا ستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ، ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتخترقه الديدان مع تغير الريح ، بعد حسن الهيئة ، وطيب الريح ، ونقاء الثوب ٠

ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه بعدها (٥٩) ٠

وقال مالك بن دينار : مررت بالمقابر ، فأنشأت أقول (٦٠) ٠

أتيت القبور فناديتها :
أين المعظم والمحتقر ؟
وأين المدل بسلطانه ؟
وأين المزكى اذا ما افتخر ؟

قال : فنوديت من بينها ، أسمع صوتا ولا أرى شخصا ، وهو يقول :

تفانو جميعا فمامخبر
وماتوا جميعا ومات الخبر

---

(٥٩) الامام الغزالى : احياء علوم الدين ٦٠٣/٤ ٠
(٦٠) نفسه : ٦٠٥/٤ ٠

تروح وتغـدوا بنـات الثرى
فتمحوا محاسن تلك الصور
فيا سـائلى عن أناس مضـوا
أمالك فيمـا تـرى معتبر ؟

٤ ـ التفسخ الرمى ٠

وهو : تحلل الجسم ، وتفسخه ، وتحوله تدريجيـا الى : سوائل ، ثم الى غازات ، ثم يتبخر فى الهواء ٠

وذلك يتم بقدرة الله سبـحانه وتعالى ، وفقـا لعمليات كيمياوية ، كثيرة ، ومعقدة ٠

ويساعد على هذا التفسخ عوامل ، أهمها : ـ

(أ) درجة حرارة الوسط المدفون به الجثة ٠

فهو بالصيف أكثر واسرع منه بالشـتاء ، ويتوقف نهائيا بالدرجة بالصـفر ، لذا : عند وضـع الجثث فى المبردات « الثلاجات » لظروف أو لأخرى ، توقف عملية التفسخ وقتيا ٠

(ب) درجة الرطوبة ٠

ولذلك نجد : أن الأنسـجة قليلة الماء ـ كالعظـام والأسنان ـ لا تتفسـخ ، وفى نفس الوقت : سـرعان ما تتفسخ جثث الغرقى ٠

وعملية التفسخ هذه : تبدأ بعد أسبوع من الوفاة ، وتتكامل خلال شهر ٠

والى هنا : يكون ترابا وعظما رميما ٠

وصدق الله العظيم (منها خلقناكم وفيهـــا نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (٦١) ٠

٥ ـ العظام النخرة ٠

وهى : الحالة التى يظل عليها ما بقى من الجثة ، لا يعتريه التحول ـ مادامت لم تتعرض لعـــوامل غير طبيعية ـ الى ماشاء الله تعالى ٠

وهى في هذه الحالة : تسمى بالعظام النخرة ٠

قال الله تعالى على لسان منكرى البعث الكفرة ٠

(يوم ترجف الراجفة ٠ تتبعها الرادفة ٠ قلوب يومئذ واجفة ٠ أبصـــارها خاشعة ٠ يقولون أئنـــا لمردودون فى الحافرة ٠ أئذاكنا عظـاما نخرة ٠ قالوا تلك اذا كرة خاسرة) (٦٢) ٠

كما تسمى : بالعظام الناخرة ٠

كما فى قراءة : حمزة ، وعاصم فى رواية أبى بـكر فى الآية السابقة (أئذاكنا عظاما ناخرة) (٦٣) ٠

وجد مكتوبا على قبر :

أيا غانـم أما ذراك فواســـــع
وقبرك معمور الجوانب محـــكم

---

(٦١) طه : ٥٥ ٠
(٦٢) احياء علوم الدين ٦٠٥/٤ ٠
(٦٣) النازعات : ٦ ـ ١٢ ٠
(٦٣) ابن مجاهد السبعة : ص ٦٧٠ ٠

وما ينفع المقبور عمران قبـــره
اذا كان فيــه جســـمه يتهـــدم

والعظام النخرة أو الناخرة ، هى : البالية المتفتتة .

وقيل : المجوفة .

وقيل الناخرة هى : التى أكلت أطرافهـــا وبقيت أوساطها ، والنخرة : التى فسدت كلها (٦٤) .

وكلها : معان متقاربة .

وهذه العظام : مهما فســـدت أو بليت ، فانه يبقى منها جزء لا يعتريه : البلى ، أو التفتت ، أو الفســـاد ، وهو عجب الذنب - بفتح العين واسكان الجيم - .

حيث يقول النبى صلى الله عليه وســـلم « كل ابن آدم يأكله التراب ، الا عجب الذنب ، منه خلق ، وفيـــه يركب » .

وفى رواية أخرى « ان فى الانســـان عظما لا تأكله الأرض أبدا ، فيه يركب الخلق يوم القيامة ، قالوا : أى عظم يا رسول الله ؟ قال : عجب الذنب) (٦٥) .

وعجب الذنب : هو عظم فى أصـــل الصلب ، وهو مكان رأس الذنب (٦٦) من ذوات الأربع .

---

(٦٤) القرطبى : الجامع لاحكام القرآن ١٩٧/١٩ .
(٦٥) رواه البخارى : كتاب - التفسير باب تفسير سورة الزمر ورواه مسلم كتـــاب الفتن باب ما بين النفختين - واللفظ فى الروايتين لمسلم - .
(٦٦) المشهور بالذيل .

أما لماذا لا يبلى « عجب الذنب » بينمـــا يبلى كل شيء ؟٠

في فتح الباري : لله في هذا سر لا يعلمه الا الله ، لأن من أظهر الوجود من العدم لا يحتــاج الى شيء يبنى عليه ٠

ويحتمل : أن يكون ذلك جعــل علامة للملائكة على احياء كل انسان بجوهره ، ولا يحصـــــل العلم للملائكة بذلك ، الا بابقاء عظم كل شخص ، ليعلم أنه : انما أراد بذلك اعادة الارواح الى تلك الاعيان التي هي جزء منها ولولا ابقاء شيء منها ، لجوزت الملائكة أن الاعادة الى أمثال الأجساد لا الى نفس الأجساد (٦٧) ٠

وهذه هي المرحلة الأخيرة لتحولات الجسم البشري بعد الوفاة ٠

* * *

وبوقفة قصيرة متأنية ، في نهاية الحديث عن هذه التحولات ٠

نرى : –

(أ) أن سنة الدفن : تكريم للانسان ، ما بعـــده تـــكريم ، اذ لولاه ، لملئت دنيـــا الأحيـــاء بالجيف والعفونات ، التي تنتشر معهـــا الأمراض والمهلكات ، فوق أن عدم الدفن – لو كان – امتهان لهذا الانســـان الذي كرمه الله تعالى وجعله خليفة له في هـذه الأرض ومساواة لجثته بجيف الحيوانات ٠

---

(٦٧) ابن حجر : فتح الباري ، ٥٥٢/٨ ، ٥٥٣ ٠

(ب) أن الانسان مهما حافظ فى العناية بمظهره ، وفى الأناقة بمنظره ، وفى الاهتمـــام بصـــحته ، وفى الرعاية لقوته : فان كل ذلك لن يكتمل له طول العمر ، ولن يستمر طول الدهر ، ومادام الأمر كذلك ـ وكل منا متأكد من أنه كذلك ـ فعلى العاقل : أن لا يجعل المحافظة فى هذه الأمور هدفا فى ذاتها ، ولا هدفا لغرض دنيوى موقوت ضئيل ، بل عليه : أن يكون كل ذلك ، وأقل من ذلك ، وأكثر من ذلك : طاعة لله تعالى .

(جـ) أن كل شىء من الانســـان يعتريه التحول بعد وفاته :

حزن أهله وأحبابه عليه : يعتريه النسيان .

قال ابن السماك : مررت على المقابر ، فاذا قبـــر مكتوب عليه :

يمـــر أقاربى جنبات قبـــرى
كأن أقـــاربى لـــم يعرفونى
ذوا الميـــراث يقســـمون مالى
وما يألـــون أن حجدوا ديونى

وهذا ماله كذلك : يعتريه التقسيم والتفرق .

ذكراه ، صيته ، أمجـاده : يعتريها كذلك النسيان .

وهذا جســـده : تعتريه التحولات الخمســـة التى ذكرت .

وهكذا ..

وهكذا ..

كل شىء يعتريه التحول بعـــد الوفاة ، أما : الى النقصان ، أو التلاشى ٠

سوى الأعمال الصـــالحة : فهى التى لا يعتريهـــا التحول ، الا ان كان الى الثواب ، والأجر ، والمضاعفة فى ذلك ٠

وصدق الله تعالى اذ يقول :

(من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) (٦٨) ٠

(د) أن على العاقل : أن يبادر فى تصور نفسه وهو يمر بهذه التحولات،ولا أنيس له ولا جليس ، ولا محامى له ولا مدافع عنه فى ظلمات القبر ، سوى الله ســبحانه وتعالى ، الذى نقدر الآن ـ باذنه ـ على طاعته ، والذى نطمع فى رحمته ، والذى لا نستطيع ـ فى القبر ولا قبل القبر ولا بعد القبر ـ الهروب من عذابه ، الا بالهروب الآن ـ وفى الدنيـا ـ الى شريعته ودينه ، وفى القبر ، وفى الحشر : الى رحمته وعفوه ومغفرته ٠

وكان الربيع بن خيثم : قد حفــر قبرا فى داره ، وكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت ، وتصور نفسه فى هذا الحال ٠

ثم يقول :

(رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت)

يرددها ، ثم يرد على نفســه ، يا ربيع قد رجعت فاعمل (٦٩) ، فان لك نومة لا عمل بعدها ٠

---

(٦٨) النمل ٨٩ ٠

(٦٩) الامام الغزالى الاحياء ٤/٥٦٠ ، ٦٠٤ ٠

الموت انتقال من دار الى دار

وقد ظن الملاحدة : أن الموت انتهاء مســـار الرحلة الانسانية ، وخاتمة مطـــاف العبد ، فلا رحلة بعـــده ، ولا حياة ، ولا بعثا ولا نشورا ٠

(وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا) (٧٠) ٠

أما الحقيقة التى غابت عنهم ، أو التى غابوا عنها : فهى أن الموت :

انتقال من : عالم من عوالم الله سبحانه وتعـــالى ، الى عالم آخر ، من عوالمه سبحانه وتعالى كذلك

انتقال من دار الدنيـــا ، الى دار البرزخ ، تمهيـــدا للوصول الى الدار الآخرة ٠

انتقال من : دار الفناء ، الى دار البقاء ٠

انتقال من : دار الزرع ، الى دار الحصاد ٠

انتقال من : دار التكليف والعمل الدنيوى ، الى دار الثواب والعقاب الأخروى ٠

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (٧١) ٠

يقول ابن القيم : جعل الله سبحانه الدور ثلاثا : دار

---

(٧٠) الأنعام ٢٩ ٠
(٧١) الزلزلة ٧ ، ٩ ٠

الدنيا ودار البرزخ ، ودار القرار ، وجعل لكل : أحكاما تختص بها (٧٢) ٠

ومن هنا : فالموت ينقل العبد من دار الدنيا الى دار البرزخ ، كما أخبر الحق ، وهو أصدق المخبرين ، فى قوله تعالى :

(حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) ٠

أى : مهلة (٧٣) ، يمكثون بها حتى ينتقلون الى الدار الآخرة ٠

وهذه المهلة التى يمكث بها الانسان حتى يوم البعث هى : الحياة البرزخية ٠

وحول هذه الحياة : سوف يكون بعون الله تعالى حديثنا معا فى البحث التالى ٠

---

(٧٢) الروح ص ٨٨ ٠
(٧٣) انظر : ابن جرير الطبرى : جامع البيان ٥٢/١٨ ٠

البحث : الثـانى عشر

الحَيَاةُ البَرْزَخِيّةُ

- تعريف
- منهج البحث
- بين المثبتين والمنكرين
- أدلة المثبتين
- ألوان من النعيم والعذاب البرزخى
- أسباب العذاب فى الحياة البرزخية
- وسائل النجاة من العذاب فى الحياة البرزخية
- الى متى هذه الحياة ؟
- خاتمـــة

تعـــريف

الحياة البرزخية : نسبة الى البرزخ ، وهو : القبر الذى يمكث فيــه الميت منــذ أن يموت الى أن يبعثه الله تعالى للحساب يوم القيامة ٠

والبرزخ فى اللغة هــو : ما بين كل شــيئين ، وفى الصحاح : هو الحاجز بين الشيئين (١) ، وكل شىء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب (٢) ٠

والبرزخ هنا : ما بين الدنيا والآخرة ، قبل الحشر ، من وقت الموت الى البعث ٠

فمن مات : فقد دخل البرزخ ٠

والبرزخ فى القيامة (٣) : الحائل بين الانسان وبين بلوغ المنازل الرفيعة فى الآخرة ٠

وذلك : اشارة الى العقبة المذكورة فى قوله تعـــالى

(فلا اقتحم العقبة) (٤) ٠

وقد ورد ذكر « البرزخ » فى القرآن الكريم ثـلاث مرات :

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ـ مادة برزخ ٠
(٢) الطبرى : جامع البيان ١٢٩/٢٧ ٠
(٣) الراغب الأصفهانى : المفردات ـ كتاب الباء ٠
(٤) البـــلد ١١ ٠

١ ـ فى قوله تعالى :

(وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)(٥) ٠

يقول الامام الطبرى : يعنى حاجزا يمنع كل واحد منها من افساد الآخرة ٠

ثم يقول : وانما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه ، وعظيم سلطانه ، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج ، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته ، وافساده اياه بقضائه وقدرته ، لئلا يضر افساده اياه بركبان الملح منهما ، فلا يجدون ماء يشربونه عند حاجتهم الى الماء (٦) ٠

٢ ـ وفى قوله تعالى :

(مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) (٧) ٠

يقول الامام الطبرى ـ شيخ المفسرين ـ : بينهما حاجز وبعد ، لا يفسد أحدهما صاحبه ، فيبغى بذلك عليه ٠

٣ ـ وفى قوله تعالى :

(حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى

---

(٥) الفرقان ٥٣ ٠
(٦) جامع البيان ٢٤/١٩ ٠
(٧) الرحمن ٢٩ ، ٢٠ ٠

أعمل صــــالحا فيما تركت كلا أنها كلمة هو قائلهــا ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) (٨) ٠

ويقول الامام الطبرى : حــاجز يحجز بينهم وبين الرجوع الى الدنيا ، الى يوم يبعثون من قبورهم ، وذلك يوم القيامة (٩) ٠

* * *

(٨) المؤمنون ٩٩ ، ١٠٠ ٠

(٩) جامع البيان ١٨/٥٣ ٠

منهـج البحث

وهذا البرزخ المذكور فى الآية الأخيرة : هو موضوع حديثنا فى هذا البحث .

الذى يدور حول « الحياة البرزخية » فى القــرآن الكريم والسنة النبوية .

والذى نوضح فيه : أن فى هذا « البرزخ » حيــاة ، لا هى بالحياة الدنيا : التى فارقها الانســـان ، ولا هى بالحياة الآخــرة : التى يكون فيهـــا النشر ، والحشر ، والحساب ، والثواب والعقاب ، والخلود .

والذى نوضح فيه : أن هذه الحياة البرزخية ، لها معالم وسمات ، اثبتها القرآن الكريم ، ووضحتها السنة النبوية .

والذى نهدف منه الى : تبصير القارىء بهذه الحياة الهامة ، التى تحتاج منه الى اعداد العدة ، والتزود لها بطاعة الله تعـــالى .

(وتزودوا فان خير الزاد التقوى) (١٠) .

والذى نعتمد - باذن الله تعالى - فيما نقدم منــه على : -

(أ) ما ورد من كتاب الله تعــالى ، مستعينين فى

---

(١٠) البقرة ١٩٧ .

تفسير ما يحتاج من الآيات الكريمة بكتب التفسير الأصيلة ، والتى تعتمد ـ أو يغلب عليها الاعتماد ـ على التفسير بالمأثور من : حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقوال صحابته ، رضوان الله عليهم ، الذين عايشوا الوحى ، وتتبعوا نزول القرآن الكريم ٠

(ب) ما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مبينا لجوانب موضوعنا ، وكاشفا لخوافية، ومعينا على فهمه ٠

ورائدنا فى ذلك : قول الحق سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ٠

(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) (١١) ٠

بيد أنه مما ينبغى التنبه له : أننا نخطىء كل الخطأ ، اذا أخضعنا هذه الحياة ، وما يرد من الحديث عنها ، لمقاييسنا للحياة الدنيوية ، واذا ما حاولنا تصورها وفق ما لدينا من صور لحياتنا هذه ٠

ولذا : علينا أن نؤمن بها حسبما ورد عنها ، وبتسليم كامل لمن أخبرنا عنها ـ وهو الحكيم الخبير ـ دون اقحام لعقولنا القاصرة ، ولحواسنا التى لا تدرك الا فى عالم المشاهدة فقط ، دون عالم الغيبيات ٠

والى نقاط هذا البحث الهام سويا على هذا الأساس٠

---

(١١) النحل ٤٤ ٠

الحياة البرزخية بين المنكرين والمثبتين

لقد شغل موضوع الحياة البرزخية: أذهان الكثيرين، وجذب اهتمامهم ، وشد انتباههم .

ولم يجمع الناس كلهم على انكاره ، وكذلك على اثباته ، بل اختلفت : آراؤهم ، واتجاهاتهم ، وانقسموا الى فرق وأحزاب ، وكل بما لديهم فرحون .

وقد انقسموا أمام هذا الموضوع على النحو التالى (١٢) :

الفريق الأول :

أنكر الحياة البرزخية ، بل انكر البرزخ نفسه ، بناء على انكاره للبعث أصلا ، حيث أنه : لا حياة ـ عند هؤلاء ـ الا الحياة الدنيا ؛ فلا بعث ولا برزخ ، ولا حياة برزخية .

وعلى ذلك : فلا عذاب ولا نعيم بعد الموت ، فى القبر ، أو فى غير القبر .

وقد سجل القرآن الكريم عليهم كفرهم هذا ، حيث يقول سبحانه وتعالى .

١ ـ فى سورة الأنعام :

---

(١٢) انظر : ابن القيم : الروح ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٠ بتصرف ، ابن حجر : فتح البارى ٣/٢٣٣ .

(وقالـــوا ان هى الا حياتنـــا الدنيـــا وما نحن بمبعوثين) (١٣) ٠

٢ - فى سورة هود عليه السلام :

(وهو الذى خلق السموات والأرض فى ســتة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) (١٤) ٠

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قــومك ، انكم مبعوثون أحيـــاء من بعــد مماتكم ، فتلوت عليهم بذلك تنزيلى (ووحى ؛ ليقولن :

(ان هذا الا سحر مبين) (١٥) ٠

٣ - فى سورة النحل :

(وأقســموا بالله جهــد أيمـــانهم لا يبعث الله من يموت) (١٦) ٠

٤ - فى سورة الاسراء :

(وقالوا أئذاكنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقــا جديدا) (١٧) ؟

---

(١٣) الآية ٢٩ ٠
(١٤) الآية ٧ ٠
(١٥) الطبرى : جامع البيان ٥/١٢ ٠
(١٦) من الآية ٣٨ ٠
(١٧) الآية ٤٩ ، ٩٨ ٠

٥ - فى سورة المؤمنون ، وسورة الصافات ، وسورة الواقعة .

(أئذامتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون)(١٨)؟

وقد ذهب الملاحدة ، وكثير من الفلاسفة : الى هذا المذهب .

الفريق الثانى :

أقر البعث ، وآمن به ، لكنه : أنكر الحياة البرزخية، بناء على أن الروح - فيما يرون - لا تبقى بعــــد فراق البدن ، وأن البدن - بالتالى - لا ينعم ولا يعذب .

وعلى ذلك : فليس فى البرزخ - عند هؤلاء - حياة، ولا نعيم ، ولا عذاب .

بل لا يكون كل ذلك : حتى تقوم الساعة الكبرى .

وهو مذهب : الخوارج ، وبعض أهـــل الكلام من المعتزلة ، كضرار بن عمرو ، وبشر المريسى وغيرهم .

واستدلوا لمذهبهم (١٩) .

١ - بقوله تعالى :

(لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) (٢٠) .

---

(١٨) الآية ٨٢ ، ١٦ ، ٤٧ .

(١٩) انظر : طه عبد الله العفيفى . أسباب السلامة من اهوال القيامة ص ٦٣ ، ٦٤ وهو ينقل عن : الدين الخالص .

(٢٠) الدخان ٥٦ .

أى : لا يذوقون فى الجنة موتا سوى الموتة الأولى ، ولو صاروا أحيـــاء فى القبور : لذاقوا الموت مرتين ، لا مرة واحدة ٠

٢ ـ بقوله تعالى :

(وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يســمع من يشاء وما أنت بمسمعٍ من فى القبور) (٢١) ٠

فان الغرض من سياق الآية : تشبيه الكفرة بأهــل القبور فى عدم السماع ٠

٣ ـ بالعقل ٠

فاننا نرى :

شخصا يصلب ، ويبقى مصلوبا حتى تذهب أجزاؤه، ولا نشاهد فيه : احياء ، ولا مساءلة ٠

وأبلغ منه : من أكلته السباع والطيــور ، وتفرقت أجزاؤه ، فى بطونها وحواصلها ٠

وكذا : من أحرق ، وتفتتت أجزاؤه ، وذرتها الرياح العاصفة ، شمالا ، وجنوبا ، وشرقا ، وغربا ٠

فاننا نعلم : عدم احيائه ، ومساءلته ضرورة ٠

الفريق الثالث :

أقر البعث ، وآمن به ، لكنه أنكر الحياة البرزخية ٠

---

(٢١) فاطر ٢٢ ٠

وذهب الى : أن الميت لا يشعر بالتعذيب، ولا بغيره، الا بين النفختين •

وقالوا : وحال الميت فى هـذا ، كحال النـــائم ، والمغشى عليه ، لا يحس بالضرب ، ولا بغيره ، الا بعـد الافاقة •

وقد ذهب الى ذلك : أبو الهذيل ، ومن تبعه (٢٢) •

الفريق الرابع :

أقر البعث ، وآمن به ، وأقر الحيــــاة البرزخية ، وآمن بهـا ، وأقـــر عذاب القبر ونعيمه ، وآمن بذلك ، لكنه : أخطأ عندما أثبت عذاب القبر لأصحاب التخليد من الكفار ، والفساق على أصولهم ، ونفاه عن المؤمنين •

وهو مذهب : الجبائى ، وابنه البلخى •

الفريق الخامس :

أقر البعث ، وآمن به ، وأقر الحياة البرزخية ، وآمن بها ، وأقر عذاب القبر ونعيمه ، وآمن بذلك •

وهم يرون : أن الميت اذا مات ، يكون فى نعيم ، أو فى عذاب ، وأن ذلك : يحصل لروحه ، وبدنه •

كما يرون : أن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة، أو معذبة ، وأنها : تتصل بالبدن أحيـــا نا ، ويحصل له معها ـ فى هذه الحال ـ النعيم ، أو العذاب •

---

(٢٢) ابن حجر : فتح البارى ٣/٢٣٥ •

ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى : اعيدت الأرواح الى الأجساد ، وقام الناس من قبورهم لرب العالمين ٠

وهو مذهب : أهل السنة والجماعة ٠

وهو الصحيح ٠

وعلى ذلك (٢٣) :
فالايمان بعذاب القبر ، ونعيمه ، والحياة البرزخية: واجب ، والتصديق به لازم ، حسبما أخبر به الصادق ، صلى الله عليه وسلم ٠

وأن الله تعالى : يحيى العبد المكلف فى قبره ، برد الحياة اليه ، ويجعل له من العقل فى مثل الوصف الذى عاش عليه ، ليعقل ما يسأل عنه ، وما يجيب به ، ويفهم ما أتاه من ربه ، وما أعد له فى قبره : من كرامة ، أو هوان ٠

* * *

هـــذا ٠٠

وقد أجاب أهل السنة والجماعة عن الفريق الأول ٠

بالرد عليهم فى أصل مذهبهم ، وهو : انكار البعث، وبالتالى : انكار ما يترتب على الايمان بذلك ٠

وهذا الرد : يتمثل فى :

اثبات القرآن الكريم للبعث ، وحملته الشـــديدة ، القوية ، على منكريه ، فى معظم سوره ، وآياته ٠

---

(٢٣) القرطبى : الجامع لاحكام القرآن ١٧٣/٢٠ ٠

وكذلك : اثبات السنة النبوية لذلك ٠

وهى أدلة وفيرة ، وصريحة ، ومعلومة علم اليقين٠

(زعم الذين كفـــــروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) (٢٤)٠
وليس هذا محل التوسع فى ذكرها ٠

وما دام أصل مذهبهم باطل : فقد بطل بالتالى ، كل ما ترتب على هذا الأصل عندهم ٠

ثم أجابوا عن الفريق الثانى ٠

فقـــالوا :

أولا : عن قوله تعالى :

(لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) ٠

بأن ذلك : وصف لأهل الجنة ، أى : لا يذوق أهلها، فيها الموت ، فلا ينقطع نعيمهم ، كما انقطع نعيم أهـــل الدنيـــا ٠

فلا دلالة فى الآية : على انتفاء موتة أخرى ، بعـــد المساءلة ، وقبل دخول الجنة ٠

ثانيا : عن قوله تعالى :

(وما أنت بمسمع من فى القبور) ٠

---

(٢٤) التغابن ٧ ٠

بأن عدم اســـماع من فى القبور : لا يستلزم عدم ادراكهم ٠

ثالثا : عن دليهم العقلى ٠

أن المطلوب : لا بعد فى احيائه ، ومسائلته ، مع عدم المشاهدة كما فى النائم ، فانه حى ، ولا نشاهد حياته ، وكما فى : رؤية النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ، وهو بين أظهر أصحابه ، مع ستره عنهم ٠

ولا بعد فى : رد الحيـــاة الى بعض أجزاء البـــدن ، فيختص بالاحياء ، والمسائلة ، والعذاب ، وان لم يكن ذلك مشاهدا لنا ٠

وأجابوا ـ كذلك ـ عن الفريق الثالث ٠

بقولهم : ان الأحاديث الثابته ، فى سؤال الميت ، حال تولى أصحابه عنه ، ترد عليهم ٠

أضف الى ذلك : ما سوف يأتى من أدلة اثبات الحياة البرزخية ، واثبات العذاب والنعيم فيها ٠

ثم أجابوا عن الفريق الرابع ٠

بما ثبت من صحيح الأدلة على أن : عذاب القبر ، وضغطته ، والسؤال فيه ، يشمل الكافر والمؤمن ٠

وهى : أدلة كثيرة ، سوف ترد قريبا ٠

وأخيرا ٠

يستدلون على صحة مذهبهم بدلائل عديدة ٠

وفقا لما يلى :

أدلة المثبتين لعذاب القبر ونعيمة

(أ) أدلة عقلية : وهى (٢٥) :

١ ـ ايمان العبد بالله ، وملائكته ، واليوم الآخر : يستلزم ايمانه بالحياة البرزخية وبعذاب القبر ونعيمه ، وبكل ما يجرى فيه ٠

اذ الكل ممن الغيب !

فمن آمن بالبعض : لزمه عقـــلا الايمان بالبعض الآخـــر ٠

والايمان بالغيب ، وفق ما أخبر الله تعالى ورسوله، هو الصفة الأولى ، والعلامة البارزة للمتقين ٠

يقول سبحانه وتعالى :

(الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هـــدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقنـــاهم ينفقون والـــذين يؤمنون بما أنزل اليـــك وما أنـــزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (٢٦) ٠

٢ ـ ليست الحياة البرزخية ، وكذلك : عذاب القبر ونعيمه ، أو ما يقع فيها ، من سؤال الملكين ، وخلافه ، مما ينفيه العقل ، أو يحيله ، بل العقل السليم : يقر ذلك، ويشهد له ٠

---

(٢٥) انظر : ابو بكر الجزائرى ـ منهاج المسلم ص ٤٥ ٠

(٢٦) البقرة ١ ـ ٥ ٠

٣ ـ ان النائم :

قد يرى الرؤيا : مما يسر له ؛ فيتلذذ بها ، وينعم بتأثيرها فى نفسه ، **الأمر الذى يحزن له أو يأسف ان هو** استيقظ •

كما أنه **قد يرى الرؤيا : مما يكره ، فيستاء** لهـا ، ويغتم ، الأمر الذى يجعله ، يحمـــد من أيقظه ، لو أن شخصا أيقظه •

فهـذا النعيم ، أو العـذاب فى النوم : يجـرى على الروح حقيقة ، وتتــأثر به ، وهـو غـير محســوس ، ولا مشاهد لنا ، ولا ينكره أحد •

فكيف ينكر اذا عذاب القبر ، أو نعيمه ، وهو نظير ذلك تماما !!!!

(ب) وأدلة نقلية •

وهى التى وردت فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية

وهى على النحو التالى :

* * *

أولا : من القرآن الكريم •

تحدث القرآن الكريم عن عذاب القبر حديثا واضحا، لا لبس فيه ولا غموض •

ومن المؤكد أن هذا العذاب : لا يكون الا اذا كانت هناك حياة على نحو ما ، يعلمها الله تعالى ، ويدرك معها الميت ، ويشعر فيها ، ويتألم ، بهذا العذاب •

وما دام هذا العذاب قد ثبت : فقد ثبت من وجوده - بالتالى - وجود الحياة البرزخية .

وهذه هى الآيات الكريمة التى تؤكد ذلك : -

(أ) قال الله تعالى :

(ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) (٢٧) .

يقول الامام النيسابورى :

(اليوم) يريد :

وقت الاماتة :

أو : الوقت الممتد ، الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ (٢٨) .

ويقول ابن حجر عقب هذه الآية : وهذا وان كان قبل الدفن ؛ فهو من جملة العذاب ، الواقع قبل يوم القيامة .

وانما أضيف العذاب الى القبر : لكون معظمه يقع فيه ، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا ، والا فالكافر ، ومن شاء الله تعذيبه من العصاة ، يعذب بعد

---

(٢٧) الأنعام ٩٣ .

(٢٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٦٢/٧ .

موته ، ولو لم يدفن ، ولكن ذلك محجوب عن الخــلق الا من شاء الله (٢٩) .

(ب) قال الله تعالى :

(وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ـ يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار ـ من عمل سـيئة فلا يجزى الا مثلهـــا ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حســـاب ـ ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ـ تدعوننى لأكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفـــار ـ لا جرم أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار ـ فستذكرون ما أقول لكم وأفرض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد ـ

فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون ســوء العذاب ـ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) (٣٠) .

يقول الامام ابن كثير : وقوله تبارك وتعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى : فى الدنيا ، والآخرة .

أما فى الدنيا : فنجـــاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام .

وأما فى الآخرة : فبالجنة .

---

(٢٩) فتح البارى ٣/٢٣٣ .
(٣٠) المؤمن ٣٨ ـ ٤٦ .

(وحاق بآل فرعون سوء العذاب) وهو : الغرق فى اليم ، ثم النقلة منه الى الجحيم ، فان أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء ، الى قيام الساعة .

فاذا كان يوم القيامة : اجتمعت أرواحهم وأجسادهم فى النـــار ، ولهذا قال : (ويوم تقوم الســـاعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) .

ثم يقول : وهذه الآية ، أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور ، وهى قوله (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) (٣١) .

(جـ) قال الله تعالى :

(وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) (٣٢) .

يقول الامام الطبرى : يقول تعالى ذكره :

ومن القـــوم الذين حـــول مدينتكم من الأعـــراب منافقون .

ومن أهـــل مدينتكم ـ أيضـــا ـ أمثالهم أقـــوام منافقون .

ثم يقول : وقوله (سنعذبهم مرتين) يقول : سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين :

احداهما : فى الدنيا .

---

(٣١) تفسير القرآن العظيم ٨١/٤ .
(٣٢) التوبة ١٠١ .

والآخرى : فى القبر (٣٣) ٠

(د) قال الله تعالى :

(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) (٣٤) ٠

روى الامام مسلم ، بسنده : عن البراء بن عازب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الآية ٠٠ نزلت فى عذاب القبر (٣٥) ٠

(هـ) قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم :

(فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون - يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون ٠

وان الذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون - واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم - ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) (٣٦) ٠

ويقول الامام الطبرى: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فدع يامحمد هؤلاء المشركين ، حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يهلكون ، وذلك عند النفخة الأولى ٠

---

(٣٣) انظر : جامع البيان ٩/١١ ٠
(٣٤) ابراهيم ٢٧ ٠
(٣٥) كتاب الجنة - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ٠٠ الخ ٠
(٣٦) الطور ٤٥ - ٤٩ ٠

ثم يقول : اختلف أهـــل التأويل فى العذاب الذى توعد الله هؤلاء الظلمة من دون يوم الصعقة ٠

فقال بعضهم : هو عذاب القبر ٠

وممن قال بذلك : ابن عباس ٠

الذى كان يقول : انكم لتجدون عذاب القبر فى كتاب الله (وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك) ٠

وقال آخرون : عنى بذلك الجوع ٠

وقال آخرون : عنى بذلك المصائب التى تصيبهم فى الدنيا ، من ذهاب الأموال والأولاد ٠

ثم يقول : والصواب من القول فى ذلك عندى ، أن يقـــال :

ان الله تعالى ذكره : أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به ، عــذابا دون يومهم الذى فيـــه يصعقون ، وذلك يوم القيامة ٠

فعذاب القبر : دون يوم القيامة ؛ لأنه فى البرزخ ٠

والجوع الذى أصاب كفار قريش ، والمصائب التى تصـيبهم فى أنفســهم وأموالهم وأولادهم : دون يـــوم القيـــامة ٠

ولم يخصص الله نوعـــا من ذلك - أنه لهم دون يوم القيامة - دون نوع ، بل عم ، فقال (وان للذين ظلموا

عذابا دون ذلك) فكل ذلك لهم عذاب ، وذلك لهم دون يوم القيامة (٣٧) ٠

(و) قال الله تعالى :

(ألهاكم التكاثر ـ حتى زرتم المقابر ـ كلا سـوف تعلمون ـ ثم كلا سـوف تعلمون ـ كلا لو تعلمون علم اليقين ـ لترون الجحيم ـ ثم لترونها عين اليقين ـ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) (٣٨) ٠

قال الامام الطبرى : قوله (حتى زرتم المقـابر) يعنى حتى صرتم الى المقابر ، فدفنتم فيها ٠

وفى هذا : دليل على صحة القول بعذاب القبر ٠

لأن الله تعالى ذكره : أخبر عن هؤلاء القوم ، الذين ألهاهم التكاثر ، أنهم سيعلمون ما يلقون اذا هم زاروا القبور ـ أى دفنوا فيها ـ وعيدا منه لهم ، وتهددا (٣٩)٠

وقال القرطبى : قال ابن عباس :

(كلا سوف تعلمون) ما ينزل بكم من العذاب فى القبر ٠

(ثم كلا سوف تعلمون) فى الآخرة ، اذا حل بـكم العذاب ٠

فالأول : فى القبر ٠

---

(٣٧) انظر جامع البيان ٣٦/٢٧ ، ٣٧ ٠
(٣٨) سورة التكاثر ٠
(٣٩) انظر : جامع البيان ٢٨٤/٣٠ ٠

والثانى : فى الآخرة .

فالتكرار : للحالتين .

وقيل (كلا سوف تعلمون) اذا نـزل بـكم الموت ، وجاءتكم رسل لتنزع أرواحكم .

(ثم كلا سوف تعلمون) اذا دخلتم قبوركم ، وجاءكم منكر ونكير ، وحاط بكم هول السؤال ، وانقطع منـكم الجواب (٤٠) .

* * *

ثانيا : فى السنة النبوية .

أما فى رياض السـنة النبوية : فان الأحاديث التى تثبت عـذاب القبر ـ ونعيمه ـ فى الحيـاة البرزخية ، كثيرة جدا (٤١) .

وهذا بالتالى : اثبات للحياة البرزجية نفسها .

واليك طرفا من هذه الأحاديث .

(أ) ما رواه البخارى ، بسنده : عن عائشـة ، رضى الله عنهـا ، « أن يهودية دخلت عليهـا ، فذكرت عذب القبر ، فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر .

فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن عذاب القبر !!

قالت عائشة رضى الله عنها : فما رأيت رسـول الله

---

(٤٠) الجامع لأحكام القرآن ١٧٢/٢٠ ، ١٧٣ .

(٤١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٨١/٤ ، ٨٢ .

صلى الله عليه وسلم ، بعد ، صلى صـــلاة الا تعوذ من عذاب القبر ، زاد غندر : عذاب القبر حق » (٤٢) ٠

وفى رواية النسائى :

« انهم ليعذبون فى قبـــورهم عـــذابا تســمعه البهائم » (٤٣) ٠

وفى تفسير ابن كثير (٤١) : وقد روى الامام أحمـد بسنده عن عائشة ، رضى الله عنها ، أن يهودية كانت تخدمها ، فلا تصنع عائشة ، رضى الله عنها ، اليهـــا شيئا من المعروف الا قالت لها اليهـــودية : وقاك الله عذاب القبر ٠

قالت عائشة رضى الله عنها : فدخل رســول الله صلى الله عليه وسلم على ، فقلت : يا رسول الله ، هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟

قال صلى الله عليه وسلم : « لا ٠٠ من زعم ذلك » ٠

قالت : هذه اليهودية ، لا أصنع اليها شـــيئا من المعروف ، الا قالت : وقاك الله ، عذاب القبر ٠

قال صلى الله عليه وسلم : « كذبت يهود ، وهم على الله أكذب ، لا عذاب دون يوم القيامة » ٠

ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث : فخـــرج ذات يوم ، نصف النهار ، مشتملا بثوبه ، محمرة عيناه، وهو ينادى بأعلى صوته :

---

(٤٢) كتاب الجنائز ـ باب ما جاء فى عذاب القبر ٠
(٤٣) كتاب الجنائز ـ باب التعوذ من عذاب القبر ٠

« القبر كقطع الليل المظلم ، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم !! بكيتم كثيرا ، وضحكتم قليلا » ٠

« أيها النـاس !! استعيذوا بالله من عـذاب القبر ، فان عذاب القبر حق » ٠

قال ابن كثير : وهذا الحديث اسـناده صحيح على شرط البخارى ومسلم ، ولم يخرجاه ٠

(ب) ما رواه البخارى بسنده : عن ابن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قال : « أطلع النبى ، صلى الله عليه وسلم ، على أهل القليب ، فقال : وجدتم ما وعد ربكم حقـا ؟ فقيل له : تدعوا أمواتا ؟ فقال : ما أنتم بأسـمع منهم ، ولكنهم لا يجيبون (٤٤) ٠

وفى هـذا الحديث : ما يفيـد أنهم يعـذبون فى قبورهم ٠

(ج) ما رواه البخارى ، بسنده : عن أنس ابن مالك، رضى الله عنه ، أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال « ان العبد اذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه ، وأنه ليسـمع قـرع نعـالهم ، أتـاه ملكان ، فيقعـدانه ، فيقولان ٠٠ » الحديث (٤٤) ٠

وفى هـذا الحديث ، وما قبـله : ما يفيد توافر الاحساس عند الموتى ، فى الحياة البرزخية ، اذ السـمع واحدة من وسائل ذلك ٠

(د) ما رواه البخارى ، بسـنده : عن أبى أيوب ، رضى الله عنه ، قال « خرج النبى صلى الله عليه وسلم ،

---

(٤٤) كتاب الجنائز ـ باب ما جاء فى عذاب القبر ٠

وقد وجبت (٤٥) الشمس ، فسمع صوتا ، فقال : يهود تعذب فى قبورها » (٤٦) ٠

(هـ) ما رواه البخارى ، بسنده : عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدعو : اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال » (٤٦) ٠

(و) ما رواه البخارى ، بسنده : عن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، « عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال يوم الخندق : ملأ الله بيوتهم ، وقبورهم، نارا ، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى ، حتى غابت الشمس » (٤٧) ٠

(ز) ما رواه مسلم ، بسنده : عن أنس رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر » (٤٨)٠

(ح) ما رواه الترمذى ، بسنده : عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أنه قال : « مازلنا نشك فى عذاب القبر ، حتى نزلت (ألهاكم التكاثر (٤٩) ٠

* * *

ثالثا : ومن أدلة اثبات عذاب القبر ونعيمه كذلك :

---

(٤٥) اى : غربت ٠

(٤٦) كتاب الجنائز ـ باب التعوذ من عذاب القبر ٠

(٤٧) كتاب المغازى ـ باب غزوة الخندق ٠

(٤٨) كتاب صفة الجنة ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة او النار عليه ٠٠ الخ ٠

(٤٩) كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة التكاثر ٠

ما ورد فى القرآن الكريم ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ذكـر لبعض أمور : تثبت ألوانا من عذاب القبر ، لبعض الناس ، كما تثبت أخرى من نعيم القبـر ، لبعض آخـر منهم ، وذلك فى صـور عديدة ، تؤكد كلها على أن هناك حياة برزخية ، على نحو ما ، لا يعلمه الا الله تعالى ٠

وهاكم بعضا من ذلك ٠

ألوان من النعيم والعذاب البرزخى

اللون الأول :

بشارة الملئكة للميت حين الوفاة (٥٠) .

فان كان الميت صالحا : كانت البشـارة بالحسنى ، وكان ذلك : من قبيل : المسارعة فى اسعاده ، وتنعيمه ، وتكريمه .

قال الله سبحانه وتعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم اسـتقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخـافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنـة التى كنتم توعدون ـ نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسـكم ولكم فيها ما تدعون ـ نزلا من غفور رحيم) (٥١) .

وتنزل الملائكة عليهم بهـذه البشرى ـ كما أفادت الآيـة الكريمة ـ يكون ـ كما قـال العلماء ـ فى ثـلاثة مواطن (٥٢) .

عند الموت .

---

(٥٠) والبشارة هى : الاخبـار ، وفى اللسان : والبشـارة المطلقة ، لا تكون الا فى الخير . كما فى قوله تعالى (وبشر الصابرين) وانما تكون بالشر اذا كانت مقيدة ، كقوله تعالى (فبشرهم بعذاب اليم) .

(٥١) فصلت ٣٠ ـ ٣٢ .

(٥٢) انظر القرطبى : الجامع لأحكام القـرآن ١٥/٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ابن القيم : الروح ص ١٢٩ .

وفى القبر .

وعند البعث .

وان كان الميت غير صالح : كانت البشارة بالسوء ، وكان ذلك من قبيل : المسارعة فى تكديره ، وتعذيبه ، واهانته .

قال الله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) (٢٧) .

يقول الامام ابن كثير (٥٣) : وذلك أن الكافر اذا احتضر ، بشرته الملائكة : بالعذاب ، والنكال ، والأغلال، والسلاسل ، والحميم ، وغضب الرحمن الرحيم ، فتتفرق روحه فى جسده ، وتعصى وتأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة ، حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم ، قائلين لهم : (أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) الآية ، أى : اليوم تهانون غاية الاهانة ، كما كنتم تكذبون ، وتستكبرون عن اتباع آياته ، والانقياد لرسله .

ثم يقال لهم يوم معادهم :

(ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) (٥٤) .

وهذا : كما نرى :

---

(٥٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ١٥٧/٢ .
(٥٤) الأنعام ٩٤ .

بشارة حسنى ، وفاتحة خير ، وبداية طيبة : لحياة جديدة ، طويلة ، للعبد الصالح •

أو : بشارة ســوء ، وفاتحة شر ، وبـداية خبيثة : لحياة جديدة ، طويلة ، للعبد الطالح •

أليس هذا اللون : بدليل على نعيم القبر وعذابه ؟

وبالتالى : دليل على وجود الحياة البرزخية ؟

اللون الثانى :

تمنى الرجوع الى الدنيا •

وهذا اللون : مترتب على اللـون الأول ، ونتيجة له •

وذلك :

أن البشارة الحسنى : تشرح صـدر الميت ، وتطلعه على مزيد النعم ، ووافر الفضـل الالهى ، الذى يدفعـه الى : الرضا به ، والرغبة فى المزيد منه ، وذلك : بتمنى الرجوع الى الدنيا ؛ لبذل أسباب ذلك •

كما أن البشارة السوء : ينقبض لها صـدر الميت ، وتطلعه على نتائج الباطل الذى كان فيه ، والكفر الذى عاشه ، والحق الذى خالفه ، وعانده ، والايمـان الذى ابتعد عنه ، وحـرم ثوابه ، والأهـوال الجسـام ، التى تنتظره نتيجة لذلك ، والتى بدأ يدخل فيها ، ويقـاسى عذابها ومراراتها ، والتى تدفعة ـ كذلك ـ الى : عـدم الرضـا ، والرغبة الجـارفة فى الهروب منه ، وذلك :

بتمنى الرجوع الى الدنيـــا ؛ لتصحيح ظلمه الـذى كان عليه ، وباطله الذى عاش فيه •

وهذا التمنى : عام فى كل من يموت •
المؤمن : يتمناه •

والكافر : يتمناه •

وذلك : ثابت بكتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ، صلى الله عليه وسلم •

والدليل على تمنى المؤمن ذلك :

(أ) ما يروى عن جابر بن عبد الله :

قال : لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فقال : يا جابر ! مالى أراك منكسرا ؟

قال : قلت : يا رسول الله ! استشهد أبى ، وترك : عيالا ، ودينا •

قال : أفلا ابشرك بما بشر الله به أباك ؟

قال : بلى يارسول الله !!

قال : ماكلم الله أحدا قط الا من وراء حجـــاب ، وكلم أباك كفاحا (٥٥) •

فقال : يا عبدى !! تمن على أعطك !!!

---

(٥٥) أى : مواجهة ليس بينهما حجاب •

قال : يارب !! تحينى فأقتل فيك ثانية ٠

فقال الرب سبحانه وتعالى : انه قد سبق القول منى : (أنهم اليها لا يرجعون) ٠

قال : يارب !! فأبلغ من ورائى ٠

قال (٥٦) : فأنزل الله تعالى (٥٧) ٠

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) (٥٨) ٠

(ب) وعن أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤتى بالرجل من أهل الجنة ٠

فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم !! كيف وجدت منزلك ؟

فيقول : أى رب !! خير منزل ٠

فيقول : سل وتمن ٠

فيقول : أسألك أن تردنى الى الدنيا ، فاقتل فى سبيلك عشر مرات ٠

---

(٥٦) اى : رسول الله ﷺ ٠
(٥٧) آل عمران ١٦٩ ٠
(٥٨) رواه الترمذى : كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة آل عمران ٠
ورواه ابن ماجه : المقدمة ـ باب فيما انكرت الجهمية ـ واللفظ له ٠

لما يرى من فضل الشهادة (٥٩) •

(ج) ما رواه الترمذى : عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : « من كان له مال يبلغه حج بيت ربه ، أو تجب عليه فيه الزكاة ، فلم يفعل : سأل الرجعة عند الموت •

فقال رجل : يا ابن عباس اتق الله !! انما سأل الرجعة الكفار •

قال : سأتلوا عليك بذلك قرآنا •

(يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ـ وانفقوا من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) (٦٠) •

قال : فما يوجب الزكاة ؟

قال : اذا بلغ المال مأتى درهم فصاعدا •

قال : فما يوجب الحج ؟

قال : الزاد والبعير (٦١) •

والدليل على تمنى الكافر الرجوع الى الدنيا كذلك •

---

(٥٩) رواه النسائى : كتاب الجهاد ـ باب ما يتمنى أهل الجنة •

(٦٠) المنافقون ٩ ـ ١١ •

(٦١) النسائى : كتاب التفسير ـ باب ومن سورة المنافقين •

(أ) قول الله سبحانه وتعـــالى : (حتى اذا جـاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ـ لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها) (٨) .

يقول الامام الطبرى :

يقول تعـــالى ذكره : حتى اذا جاء أحــد هــؤلاء المشركين الموت ، وعاين نزول أمر الله به ، قال : لعظيم ما يعاين ، مما يقدم عليه ، من عــذاب الله ؛ تندما على ما فات ، وتلهفا على ما فرط فيه ـ قبل ذلك ـ من طاعــة الله (رب ارجعون) الى الدنيا ؛ فردونى اليها (لعــلى أعمل صالحا) يقول : كى أعمل صالحا ، فيما تركت قبل اليوم ، من العمل ، فضيعته ، وفرطت فيه (٦٢) .

قال قتــادة : والله ما تمنى أن يرجع الى أهـــل ، ولا الى عشـــيرة ، ولا بــأن يجمع الدنيـــا ، ويقضى الشهوات .. !!

ولــكن !! تمنى أن يرجع ، فيعمـــل بطـــاعة الله عز وجل .

فرحم الله امــرأ عمل فيمــا يتمنــاه الكافر اذا رأى العذاب الى النار (٦٣) .

(ب) قول الله تعالى: (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل) ؟ (٦٤) .

---

(٦٢) جامع البيان ٥٢/١٨ .
(٦٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢٥٥/٣ .
(٦٤) الشورى : ٤٤ .

قال الامام القرطبى : قيل : لما رأوا العذاب عند الموت (٦٥) .

أليس فى هذا اللون : دليل على نعيم القبر وعذابه؟

وبالتالى : دليل على وجود الحياة البرزخية ؟

اللون الثالث :

كلام الميت على الجنازة .

وهذا اللون : مترتب على اللون الأول كذلك ، ونتيجة له .

وذلك :

أن البشارة الحسنى : تشرح صدر الميت ، وتريح خاطره ، وتشوقه الى ما هو قادم اليه ، ومقبل عليه .

أما البشارة السوء : فينقبض لها صدر الميت ، وتتفرق روحه فى جسده خوفا ورعبا ، ويزاد خوفه : مما هو قادم اليه ، ومقبل عليه .

وهذا اللون : ثابت بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد روى البخارى : عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، قال :

---

(٦٥) الجامع لأحكام القرآن ٤٥/١٦ .

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا وضعت الجنازة ، فاحتملها الرجال على أعناقهم :

فان كانت صالحة !!

قالت : قدمونى ، قدمونى ٠

وان كانت غير صالحة !!

قالت : ياويلها !! أين يذهبون بها ٠٠؟

يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« يسمع صوتها كل شىء الا الانسان ، ولو سمعها الانسان : لصعق » (٦٦) ٠

قال السيوطى : ظاهر الحديث أن قائل ذلك ، هو الجسد المحمول على الأعناق ٠

وقال ابن بطال : انما يقول ذلك ، الروح ٠

ورده ابن المنير : بأن لا مانع أن يرد الله الروح الى الجسد ، فى تلك الحال ، فيكون ذلك : زيادة فى بشرى المؤمن ، وبؤس الكافر (٦٧) ٠

ويقول ابن حجر كذلك :

وكلام الميت هنا : يكون بلسان المقال ، لا بلسان

---

(٦٦) رواه البخارى : كتاب الجنائز ـ باب كلام الميت على الجنازة ٠

(٦٧) انظر : شرح السيوطى لسنن النسائى ٤١/٤ ٠

أليس هـذا اللون كذلك : بدليـل على نعيم القبر وعذابه ٠ ؟

وبالتالى : دليل على وجود الحياة البرزخية ؟

اللون الرابع :

لقاء القبر للميت ٠

وقـد ورد أن القبر يلقى الميت بلقـاء يختلف من الحال ٠ بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « يسمع صوتهـا كل شىء » (٦٨) ٠

شخص لآخر ، حسب اختلافهم : فى طاعة الله تعـالى ، ومعصيته ٠

وهذا اللقاء ـ بهذا الشكل الآتى ـ لون من ألوان : التكريم ، والتنعيم ، وزيادة البشرى ، للعبد الصالح ٠

وهو ـ بهذا الشكل الآتى كذلك ـ لون من ألوان : الخذلان ، والتعذيب ، وسوء البشرى ، للعبد الفاسد ٠

وهو : ثابت بحديث رسـول الله ، صـلى الله عليه وسلم ٠

روى الترمذى ، بسنده ، عن أبى سعيد :

قال : « دخـل رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، مصلاه ، فرأى ناسا ، كأنهم يكتشرون (٦٩) ٠

---

(٦٨) فتح البارى ١٨٥/٣ ٠

(٦٩) أى : تظهر أسنانهم من الضحك ٠

قال ـ صلى الله عليه وسـلم ـ : أما انكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات ؛ لشغلكم عمـا أرى ، فأكثروا من ذكر هادم اللذات ـ الموت ـ .

فانه : لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيه .

فيقول :

أنا بيت الغربة !!

وأنا بيت الوحدة !!

وأنا بيت التراب !!

وأنا بيت الدود !!

فاذا دفن العبد المؤمن :

قال له القبر : مرحبا ، وأهـلا ، أما ان كنت لأحب من يمشى على ظهرى الى ؛ فاذ وليتك اليـوم ، وصرت الى : فسترى صنيعى بك .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فيتسع له مد بصره ، ويفتح له باب الى الجنة .

واذا دفن العبد الفاجر ، أو الكافر :

قال له القبر : لا مرحبـا ، ولا أهـلا ، أما ان كنت لأبغض من يمشى على ظهرى الى ؛ فاذ وليتك اليـوم ، وصرت الى : فسترى صنيعى بك .

قال ـ صلى الله عليه وسـلم ـ : فليتئم عليه ، حتى تلتقى عليه وتختلف أضلاعه .

قال - أبو سعيد - :

قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : بأصابعه ، فأدخل بعضها فى جوف بعض .

قال - صلى الله عليه وسلم - : ويقيض الله له سبعين تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الأرض : ما أنبتت شيئا ، ما بقيت الدنيا ، فينهشنه ، ويخدشـنه ، حتى يفضى به الحساب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انمـا القبر : روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار (٧٠) .

يقول الامام الغزالى ، رضى الله عنه : وكلام الموتى - أو القبر - اما : بلسان المقال ، أو بلسان الحال ، التى هى أفصح فى تفهيم الموتى ، من لسـان المقال فى تفهيم الاحياء (٧١) .

وقد نقلت الينا : أقـوال كثير من الصالحين ، عن لقاء القبر - وكلامه - للموتى ، نستطرد ببعضها قليلا ، فى الحديث عن هـذا اللون ، من ألوان عـذاب القبر ونعيمه ، رجاء : الانتفاع ، والنفع ، بها .

قال عبيد بن عمير الليثى : ليس من ميت يموت ، الا نادته حفرته التى يدفن فيها :

أنا : بيت الظلمة ، والوحدة ، والانفراد .

فان كنت فى حياتك لله مطيعا : كنت عليك اليـوم رحمة .

---

(٧٠) رواه الترمذى : كتاب صفة القيامة باب ٢٦ ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه الا من هذا الوجه .

وان كنت عاصيا : فأنا اليوم عليك نقمة ٠

أنا الذى : من دخلنى مطيعا ؛ خرج مسرورا ، ومن دخلنى عاصيا ؛ خرج مثبورا (٧١) ٠

وروى عن الحسن البصرى ، أنه قال : كنت خلف جنازة ، فاتبعتها ، حتى وصلوا بها الى حفرتها ، فنادت

امرأة ، يا أهل القبور !! لو عرفتم من نقل اليكم ؛ لأعززتموه ٠

قال الحسن : فسمعت صوتا من الحفرة ، وهو يقول : قد والله نقل الينا بأوزار كالجبال ، وقد أذن لى : أن آكله ؛ حتى يعود رميما ٠

قال الراوى : فاضطربت الجنازة فوق النعش ، وخر الحسن مغشيا عليه (٧٢) ٠

أليس فى هذا : دليل على ثبوت نعيم القبر وعذابه ؟

وبالتالى : دليل على قيام الحياة البرزخية ؟

اللون الخامس :

ضمة القبر :

وهى : لون من ألوان التعذيب الذى يلقاه الميت فى قبره ، صالحا كان أو طالحا ٠

---

(٧١) انظر : احياء علوم الدين ٦١٨/٤ ٠
(٧٢) القرطبى : التذكرة ص ١٢٧ ٠

وهى عبارة عن : التآم القبر ، وانضمامه ، والتقاء جانبيه على جسد الميت (٧٣) ، التئاما قويا ، شديدا ، رهيبا ، تختلف منه أضلاعه ، ويحصل له منه : ألم وايذاء شديد .

ويقول فى أصـــلها : أنه لما كانت الأرض هى الأم ، التى منها خلقوا ، والتى غابوا عنها ، فلما ردوا اليها ، ضمتهم ضمة الوالدة ، التى غاب عنها ولدها ، ثم قدم عليها .

فمن كان منهم لله مطيعا : ضمته برأفه ورفق .

ومن كان منهم لله عاصيا : ضمته بعنف ؛ سخطا منها عليه لربها (٧٣) .

وعلى هذا : فهى عامة ، لا ينجوا منهـــا صالح ، ولا طالح .

غير أن الفرق بين المسلم وبين الكافر فيها :

دوام الضغط للكافر .

وحصول هـــذه الحالة للمؤمن فى أول نزوله الى قبره ، ثم يعود الى الانفساح له (٧٣) .

وقال أبو هـــريرة (٧٤) : ان ضـغطة القبر ، التى يضيق على الكافر فيها قبره ، حتى تختلف أضـــلاعه ، هى : المعيشة الضنك ، المذكورة فى قوله تعالى .

---

(٧٣) السيوطى : سنن النسائى ٤/١٠١ ـ ١٠٣ .
(٧٤) التذكرة ص ١٦٨ .

(ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا)(٧٥)٠

وسبب عموميتها هذا ـ كما يقول الحكيم الترمذى ـ هو : « أنه ما من أحد الا وقد ألم بذنب ما ، فتدركه هذه الضغطة ، جزاء لها ، ثم تدركه الرحمة » (٧٣) ان كان مؤمنـــا ٠

وهى : ثابتة بحديث رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم ٠

(أ) فعن ابن عمر ، عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، قال : « هذا الذى تحرك له العرش ، وفتحت لـه أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفا من الملائكة ٠

لقد ضم ضمة ، ثم فرج عنه » (٧٦) ٠

وزاد البيهقى ، فى كتاب « عــذاب القبر » : يعنى سعد بن معاذ (٧٣) ٠

(ب) وخرج على بن معبد ، فى كتاب « الطـــاعة والمعصية » ، بسنده ، عن ابراهيم الغنوى ، عن رجل ، قال : كنت عند عائشة ، فمرت جنازة صبى صـــغير ، فبكت ، فقلت لها : ما يبكيك يا أم المؤمنين ؟ فقـالت : هذا الصبى ، بكيت له ، شفقة عليه من ضمة القبر ٠

قال الامام القرطبى : وهذا الخبر ، وان كان موقوفا على عائشة ، رضى الله عنهـا ، فمثله لا يقال من جهـة الرأى (٧٧) ٠

---

(٧٥) طـه ١٢٤ ٠
(٧٦) رواه النسـائى : كتاب الجنـــائز ـ باب ضـمة القبر
(٧٧) القرطبى : التذكرة ص ١٢٧ ، ١٢٨ ٠

ومما هو جدير بالذكر :

أن الأنبياء : لا يعلم أن لهم فى القبور هذه الضمة، وذلك : لعصمتهم (٧٣) ٠

وهـذا : ليس بمستبعد ، فى حـق من عصمهم الله سـبحانه وتعـالى ، وطهرهم عن مقـارفة الذنوب ، والخطـايا ، التي يضـم القبر على صاحبه ـ حتى ولـو كان صالحا ـ لتطهيره منها ٠

ختاما :

نرى أن هـذا اللون من ألوان العذاب : وقد ثبت بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دليل واضـح ، على ثبوت عذاب القبر ٠

وبالتالى : دليل واضح على وجود الحياة البرزخية، المليئة بصنوف وافرة ، من النعيم ، ومن العذاب كذلك ٠

اللون السادس : سؤال الملكين ٠

ومن دلائل الحيـاة البرزخية ، وألوانهـا البينة : سؤال الملكين للميت ٠

وسؤال الملكين : ثابت وقـوعه فى هذه الحيـاة ، بالكتاب الكريم ، والسنة النبوية ٠
(أ) دليل ثبوته من القرآن الكريم ٠

قوله سبحانه وتعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) (٣٤) ٠

قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : « اذا أقعـد

المؤمن فى قبره ، أتى ، ثم شهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله :

فذلك قـــوله : (يثبت الله الذين آمنـوا بالقـول الثابت) (٧٨) .

وقال الامام الطبرى ، فى معنى الآيــة : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ، وذلك : تثبيته اياهم فى الحياة الدنيا بالايمان : بالله، وبرسوله، محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى الآخرة : بمثـل الذى ثبتهم به فى الحياة الدنيـا ، وذلك فى قبـورهم ، حين يسألون عن الذى هم عليه من التوحيد والايمان برسوله صلى الله عليه وسلم (٧٩) .

(ب) دليل ثبوته من السنة النبوية .

١ - ما روى عن قتادة ، عن أنس ، رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : « ان العبد اذا وضـع فى قبره ، وتولى عنه أصــحابه ، وانه ليسمع قرع نعـــالهم ، أتاه ملكان ، فيقعدانه .

فيقولان : ما كانت تقول فى هـذا الرجل ؟ - لمحمد صلى الله عليه وسلم - .

فأما المؤمن ، فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله .

---

(٧٨) رواه البخارى : كتاب الجنائز - باب ما جاء فى عذاب القبر .

(٧٩) جامع البيان ٢١٨/١٣ .

فيقال له : انظر الى مقعدك من النـار ، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، فيراهما جميعا ٠

قال قتادة : وذكر لنا « أنه يفسح له فى قبره » ٠

ثم رجع الى : حديث أنس ، قال :

وأما المنافق والكافر ، فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟

فيقول : لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس ٠

فيقال : لا دريت ، ولا تليت ٠

ويضرب بمطارق من حديد ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه ، غير الثقلين (٨٠) ٠

٢ ـ ما روى عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال :

قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، اذا قبر الميت ـ أو قال أحدكم ـ أتـاه : ملكان ، أسـودان ، أزرقان ، يقال لأحدهما : المنكر ، والآخر : النكير ٠

فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟

فيقول : ما كان يقول : هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ٠

---

(٨٠) رواه : البخارى ـ كتاب الجنائز ـ باب ما جاء فى عذاب القبر ٠ واللفظ له ٠

ورواه : مسلم ـ كتاب الجنة ـ باب عرض مقعـد الميت ٠٠٠ عليه ٠

فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا •

ثم : يفسح له فى قبره ، سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور له فيه •

ثم يقال له : نم •

فيقول : أرجع الى أهلى فأخبرهم ؟

فيقولان : نم كنومة العروس ، الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه •

حتى يبعثه الله من مضجعه •

ذلك :

وان كان منافقا :

قال : سمعت الناس يقولون ، فقلت مثله : لا أدرى •

فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك •

فيقال للأرض : التئمى عليه ، فتلتئم عليه ، فتختلف فيها أضلاعه •

فلا يزال فيها معذبا ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك (٨١) •

٣ ـ ما روى عن عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ،

---

(٨١) رواه الترمذى : كتاب الجنائز ـ باب ما جاء فى عذاب القبر •

قال : كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اذا فرغ من دفن الميت ، وقف عليه ، فقال : « استغفروا لأخيكم ، وسلوا له التثبيت ، فانه الآن يسأل » (٨٢) ٠

ولكن ٠٠ !!

علام يقع هذا السؤال من الميت (٨٣) ؟

هل يقع على الجسد فقط ؟

أو يقع على الروح فقط ؟

أو أنه يقع على الروح والجسد معا ؟

الى الاحتمال الأول ، ذهب : ابن جرير ، وجماعة من الكرامية ٠

وقد ذهبوا الى : أن السؤال فى القبر ، يقع على البدن فقط ، وأن الله سبحانه وتعالى ، يخلق فى هذا البدن ادراكا بحيث : يسمع ، ويعلم ، ويلذ ، ويتألم ٠

واستدلوا لمذهبهم : بقصة مخاطبة النبى ، صلى الله عليه وسلم ، لأهل القليب ٠

والى الاحتمال الثانى ، ذهب : ابن حزم ، وابن هبيرة ٠

وقالوا : ان هذا السؤال ، يقع على الروح فقط ، من غير عود الى الجسد ٠

---

(٨٢) رواه أبو داود : كتاب الجنائز ـ باب الاستغفار عند القبر للميت فى وقت الانصراف ٠

(٨٣) انظر : فتح البارى ٢٣٥/٣ ٠

واســتدلوا لمذهبهم : بغير المقبور ، كالمصـلوب ، وكذلك : كون الميت يشاهد فى قبره حال المسألة ، لا أثر فيه من اقعاد ولا غيره ، ولا ضيق فى القبر ولا سعة .

والى الاحتمال الثالث ، ذهب : جمهور العلماء ، وأهل السنة .

ويقولون : ان الروح تعاد الى الجسد ، كله أو بعضه، ولا يمنع من ذلك ، كون الميت قـد تتفرق أجزاؤه ؛ لأن الله قادر على أن يعيد الحياة الى جزء من الجسد ؛ ويقع السؤال عليه ، كما هو قادر على أن يجمع أجزاءه .

ويردون على مزاعم غيرهم :

بأنه لو كان السؤال يقع على الروح فقط : لم يـكن للبدن بذلك اختصاص .

وكذلك : رد الحياة الى الجسد ، دون ادراك للأحياء بذلك ، غير ممتنع فى القدرة الالهية ، بل له نظـير فى العادة .

مثل النائم : فانه يجد لذة وألما ، لا يدركه جليسه .

بل اليقظان : قد يدرك ألمـا أو لذة ، لما يسـمعه أو يفكر فيه ، ولا يدرك ـ أيضا ـ ذلك جليسه .

ويعللون لبعد أصحاب هذه المذاهب عن الصواب ، بقولهم :

وانما أتى الغلط : من قياس الغائب على الشاهد ، وأحوال ما بعد الموت على ما قبله .

ثم يعللون - فى نفس الوقت - لعدم ادراك الأحياء لذلك بقولهم :

والظاهر : أن الله تعالى ، صرف : أبصار العباد ، وأسماعهم ، عن مشاهدة ذلك ، وستره عنهم ، ابقاء عليهم ، لئلا يتدافنوا ٠

كما أنه : ليست للجوارح الدنيوية قدرة على ادراك أمور الملكوت ، الا من شاء الله ٠

ويستدلون لمذهبهم : بما يفيد ذلك ، مما ثبت من الأحاديث ، مثل :

(أ) قوله عليه الصلاة والسلام : « وانه ليسمع خفق نعالهم (٤٨) ٠

(ب) قوله عليه الصلاة والسلام : « تختلف فيها أضلاعه (٨٤) ٠

(جـ) قوله عليه الصلاة والسلام : « فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين » (٨٥) ٠

(د) قوله عليه الصلاة والسلام : « يضرب بين أذنيه » (٨٥) ٠

(هـ) قوله عليه الصلاة والسلام : « فيقعدانه » (٤٨)٠

---

(٨٤) الحديث رواه : الترمذى - كتاب الجنائز - باب ما جاء فى عذاب القبر ٠

(٨٥) الحيث رواه : النسائى - كتاب الجنائز - باب مسألة الكافر ٠

وكل ذلك : من صفات الأجساد (٨٦) •

وبعـــد •• !!

أليس فى ذلك : دليـــل على ثبـوت نعيم القـبر وعذابه ؟

وبالتالى : دليل على ثبوت الحياة البرزخية ؟

اللون الســابع :

عرض مقعد الميت ـ من الجنة أو النار ـ عليه ، وهو فى الحياة البرزخية ـ غدوة وعشيا •

وهو لون من دلائل هــذه الحياة : ثابت ـ كذلك ـ بالكتاب والسنة •

(أ) دليل ثبوته من القرآن الكريم •

قوله الله سبحانه وتعالى (فوقاه الله سيئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ـ النار يعرضون عليهـا غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشـد العذاب) (٣٠) •

قــال الامام القــرطبى : والجمهور على أن هـــذا العرض فى البرزخ •

ثم يقول : وهـــذه الآية تدل على عذاب القبر فى الدنيا ، ألا تراه يقول ـ سبحانه وتعالى ـ عن عــذاب

---

(٨٦) انظر : فتح البارى ٢٣٥/٣ •

الآخرة : (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشـــد العذاب) (٨٧) ؟

(ب) والدليل من السنة النبوية .

ما رواه : الشيخان ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، ومالك ، من حديث ابن عمر ، رضى الله عنهما .

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ان أحدكم اذا مات ، عرض عليه مقعده ، بالغداة والعشى .

ان كان من أهل الجنة : فمن أهل الجنة .

وان كان من أهل النار : فمن أهل النار .

فيقـال : هــذا مقعدك ، حتى يبعثـك الله يـوم القيامة » (٨٨) .

والمراد بالعرض :

الاحراق بالنار .

وكان أبو هريرة ، اذا أصبح ، ينادى : أصـبحنا ،

---

(٨٧) الجامع لاحكام القرآن ٣١٨/١٥ ، ٣١٩ .

(٨٨) أخرجه :

(أ) البخارى ـ كتاب الجنائز ـ باب الميت يعرض عليـــه مقعدة بالغداة والعشى (واللفظ له) .

(ب) مسلم ـ كتاب الجنة .. الخ ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه .

(جـ) الترمذى : كتاب الجنائز ـ باب ما جاء فى عذاب القبر.

(د) النسائى : كتاب الجنائز ـ باب وضع الجريدة على القبر .

(هـ) ابن ماجة : كتاب الزهد ـ باب ذكر القبر والبلى .

(و) الموطأ : كتاب الجنائز ـ باب جامع الجنائز .

والحمد لله ، وعرض آل فرعون على النار ، واذا أمسى، نادى : أمسينا والحمد لله ، وعرض آل فرعون على النار.

فلا يسمع أبا هريرة أحد الا تعوذ من النار (٨٧) .

وعلى هذا جمهور العلماء .

وحكى ابن بطال : ان المراد بالعرض هنـــا ، هو الاخبار بأن هذا موضع جزائكم على أعمالكم عند الله .

واستدل المحكى عنه : بأن الأجساد تفنى ، والعرض لا يقع على شى فان .

قال : فبان أن العرض الذى يدوم الى يوم القيامة : انما هو على الأرواح خاصة .

ونقل ابن حجر الرد على هـذا الرأى ، قائلا : ان حمل العرض على الأخبار عدول عن ظاهر اللفظ بغير مقتض لذلك ، ولا يجوز العدول ـ كما هو معروف ـ عن الظاهر ، الا بصارف يصرفه عن ظاهره .

ثم قال : ويؤيد الحمل على الظاهر ـ وهو أن المراد

بالعرض : الحرق بالنار ـ أن الخبر ورد على العموم ، فى المؤمن والكافر ، فلو اختص بالروح ـ كمـــا يقول صاحب هذا الرأى ـ لم يكن للشهيد فى ذلك كبير فائدة، لأن روحه منعمة جزما ، كمـا فى الأحاديث الصحيحة ، وكذا روح الكافر ، معذبة فى النار .

فاذا حمل على الروح ، التى لها اتصال بالبـدن : ظهرت فائدة ذلك فى حـق الشـهيد ، وفى حـق الكافر أيضا (٨٩) :

---

(٨٩) ابن حجر : فتح البارى ٣٦٦/١١ .

وعلى هذا :

فهـذا العرض : يقـع عـلى الروح حقيقة ، وعـلى ما يتصل به من البدن ، الاتصال الذى يمكن به ادراك : التنعيم ، والتعذيب (٨٩) ٠

وهذا محمول على أنه : يحيـا منه جزء ، ليدرك ذلك ٠

وغير ممتنع فى قدرة الله تعالى : أن تعاد الحيـاة الى جـزء من الميت ، أو أجـزاء ، وتصـح مخاطبته ، والعرض عليه (٩٠) ٠

ختـاما :

أليس فى هذا اللون كذلك : دليل على ثبوت نعيم القبر وعذابه ؟

وبالتـالى : دليل واضـح على وجـود الحيـاة البرزخية ؟

- اللون الثـامن :

صور متفرقة من العذاب فى الحياة البرزخية ٠

وهذه الصور : تدل دلالة واضحة صريحة على قيـام الحياة البرزخية ٠

كما تؤكد على أن : عـذاب القبر - وكذلك نعيمه - حق ، وواقع كما هو ثابت بالأدلة الوفيرة ٠

---

(٩٠) نفس المرجع ٢٤٣/٣ ٠

وهذه الصور : وردت فى حديث من أحاديث رؤى النبى صلى الله عليه وسلم •

ورؤى الأنبياء : لا كذب ولا اختلاق فيها ، بل هى : رؤى صادقة •

فقد أخرج البخـارى عن عبيد بن عمير ، وهو من كبار التابعين ، أنه كان يقول (٩١) : رؤيا الأنبياء وحى، ثم قرأ •

(انى أرى فى المنام أنى أذبحك) (٩٢) •

ومن هنا : كان استدلا لنا بهذا الحديث •

أخرج البخارى ؛ بسنده ، عن سمرة بن جندب :

« قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم ، اذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه ، فقال : من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ قال : فان رأى أحد ؛ قصها ، فيقول : ما شاء الله

فسألنا يوما فقال : هل رأى أحد منكم رؤيا ؟

قلنا : لا •

قال : لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى ، فأخذا بيدى ، فأخرجانى الى الأرض المقدسة •

فاذا رجل جالس ، ورجل قائم بيده كلوب (٩٣) من

---

(٩١) البخارى ـ كتاب الوضوء ـ باب التخفيف فى الوضوء•

(٩٢)) الصافات: ١٠٢ •

(٩٣) كلوب بفتح الكاف وتشديد اللام المضمومة • وهى : حديدة معوجة الرأس •

حـديد ـ قال بعضـهم : كلوب من حـديد ، يدخـله في شدقه ـ حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا ، فيعود فيصنع مثله •

قلت : ما هذا ؟

قالا : انطلق •

فانطلقنا : حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر (٩٤) ، أو صـخرة ، فيشدخ به رأسه ، فاذا ضربه : تدهده (٩٥) الحجر ، فانطلق اليه ليأخذه ، فلا يرجع الى هذا حتى يلتئم رأسه ، وعاد رأسه كما هو ، فعاد اليه ، فضربه •

قلت : من هذا ؟

قالا : انطلق •

فانطلقنا : الى ثقب من التنور ، أعلاه ضيق وأسفله واسع ، يتوقد تحته نارا ، فاذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا ، فاذا خمدت رجعـوا فيها ، وفيهـا رجال ونساء عراة •

فقلت : من هذا ؟

قالا : انطلق •

فانطلقنا : حتى أتينا على نهر من دم ، فيه رجـل

---

(٩٤) هو : الحجر ملء الكف ، وقيل : هو الحجر مطلقا • انظر اللسان ـ مادة : فهر •

(٩٥) أى تتدحرج • انظر : اللسان ـ مادة : دهده •

قائم على وسط النهر ، وعلى شط النهر رجل ، بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذى فى النهر ، فاذا أراد أن يخرج : رمى الرجل بحجر فى فيه ، فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج : رمى فى فيه بحجر ، فيرجع كما كان •

فقلت : ما هذا ؟

قالا : انطلق •

فانطلقنا : حتى انتهينا الى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة ، وفى أصلها شيخ وصبيان ، واذا رجل قريب من الشجرة ، بين يديه نار يوقدها ، فصعدا بى فى الشجرة ، وأدخلانى دارا لم أر - قط - أحسن منها ، فيها : رجال شيوخ وشباب ، ونساء ، وصبيان ، ثم أخرجانى منها ، فصعدا بى الشجرة ، فأدخلانى دارا ، هى أحسن وأفضل ، فيها شيوخ وشباب •

قلت : طوفتمانى الليلة ، فأخبرانى عما رأيت •

قالا : نعم •

أما الذى رأيته يشق شدقه : فكذاب، يحدث بالكذبة، فتحمل عنه ، حتى تبلغ الآفاق •

فيصنع به ما رأيت الى يوم القيامة •

والذى رأيته يشدخ رأسه : فرجل ، علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ، ولم يعمل فيه بالنهار •

يفعل به الى يوم القيامة •

والذى رأيته فى الثقب : فهم الزناة ٠

والذى رأيته فى النهر : آكلوا الربا ٠

والشيخ فى أصل الشجرة : ابراهيم عليه السلام ٠

والصبيان حوله : أولاد الناس ٠

والذى يوقد النار : مالك ، خازن النار ٠

والدار الأولى ، التى دخلت : دار عامة المؤمنين ٠

وأما هذه الدار : فدار الشهداء ٠

وأنا جبريل ، وهذا ميكائيل ، فارفع رأسك ٠

فرفعت رأسى ، فاذا فوقى مثل السحاب ٠

قالا : ذاك منزلك ٠

قلت : دعانى ادخل منزلى ٠

قالا : انه بقى لك عمر ، لم تستكمله ، فلو استكملت : أتيت منزلك » (٩٦) ٠

أليس فى هذه الصور : الدليل البين على عذاب القبر ونعيمه ؟

وبالتالى : على قيام الحياة البرزخية ، منذ أول من مات من البشر ، والى يوم القيامة ؟!

بلى !! وألف بلى !!

---

(٩٦) البخارى : كتاب الجنائز - باب ٩٣ حديث رقم ١٣٨٦ ٠

أسباب عـذاب القبر ونعيمه

بعد هذه السياحة :

التى : طوفنا فيهـــا حول بعض أرجـاء الحيـــاة البرزخية .

والتى : استعرضنا فيها بعض ألوان النعيم والعذاب فى هذه الحياة البرزخية .

والتى : أوجزنا فيهـا الحديث عن هـــذه الحيـــاة الثانية ، الطويلة .

والتى : ثبت لنـــا ثبوتا بينا ، وظهر لنـــا ظهورا واضحا ، وتأكد لدينا بما لا مجال للشك فيه .

أن الحياة البرزخية : موضـوع يستحق الدراســة ، والعلم به ، والاستعداد له .

رغبة فى : أن يكون القـــبر « روضـــة من ريـــاض الجنة » .

وتوقيا من : أن يكون القبر « حفرة من حفر النار ».

ومما يوصل الى ذلك ، ويعين عليه : معرفة الأسباب التى تؤدى الى هذا ، أو ذاك .

ورأس هذه الأسباب :

الجهل بالله سبحانه وتعـــالى ، ومخالفة أوامره ، وارتكاب معاصيه .

والله سبحانه وتعـــالى : لا يعـذب روحا عرفته ، وأحبته ، وامتثلت أمره ، واجتنبت نهيه ، ولابدنا كانت فيه هذه الروح أبدا .

اذ أن عذاب القبر ، و ـ كذلك ـ عذاب الآخرة : أثر غضب الله ، وسخطه على عبده ، فمن اغضب الله واسخطه فى هذه الدنيا ، ثم لم يتب ، ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه .

وعكس ذلك تماما :

فيمن عرف الله سبحانه وتعـالى ، واتبع أوامره ، وابتعد عن معصيته .

وعذاب القبر : واقع على العبد بسبب كل مخـالفة مات ولم يتب عنها ، حتى ولو كانت أمرا صغيرا هينا ، فما بالنا بمن فعل الكبيرة الفظيعة ثم مات على ذلك .

وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى يلفت أنظارنا الى : توقى صـغائر المعـاصى ؛ أملا فى النجاة من عذاب القبر ، واستحقاق نعيمه .

فقد أخرج البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « مر النبى صلى الله عليه وسلم على قبرين ، فقال : انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، ثم قال : بلى ، أما أحدهما : فكان يسعى بالنميمة ، وأما أحدهما : فكان لا يستتر (٩٧) من بوله » .

قال : « ثم أخذ عودا رطبا فكسره باثنتين ، ثم غرز

---

(٩٧) وفى رواية أخرى : « لا يستبرىء من بوله » النسائى - كتاب الجنائز - باب وضع الجريدة على القبر .

كل واحـــد منهمـا على قـــبر ، ثم قـال : لعله يخفف عنهما ، ما لم ييبسا » (٩٨) ٠

قـال الزين بـن المنير : المراد بتخصيص هـــذين الأمرين بالذكر : تعظيم أمرهما ، لا نفى الحكم عمـــا عداهما ٠

فعلى هذا : لا يلزم من ذكرهما حصر عـذاب القبر فيهما (٩٩) ٠

وفى هذا :

تنبيه من المصطفى صلى الله عليه وسـلم ، على أن ما فوق ذلك من الذنوب آكد فى عذاب صاحبه فى قبره٠

وتعليم منه صـــلى الله عليه وســـلم ، لأمته ، عدم الاستهانة بالأمور الصغيرة ، والذنوب اليسيرة ، وعدم الغفلة عن توقيها ، ومعالجتها ٠

وحث منه كذلك ، صـــلى الله عليه وســـلم ، على الاستعداد من الآن ، والعمل الدائب ، واليقظة المستمرة، حتى يكون القبر - هذه الحياة الثانية - روضة من رياض الجنة ، لا حفرة من حفر النار ٠

وعلى هذا : -

فعذاب القبر : - كما يقول ابن القيم (١٠٠) - عن معاصى :

---

(٩٨) كتاب الجنائز - باب عذاب القبر من الغيبة والبول ٠
(٩٩) فتح البارى ٢٤٢/٣ ٠
(١٠٠) الروح ص ١٠٩ وما بعدها ، باختصار يسير ٠

القلب ، والعين ، والأذن ، والفم ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل ، والبدن كله .

فالنمام ، والكذاب ، والمغتاب ، وشاهد الزور ، وقاذف المحصن ، والموضع فى الفتنة ، والداعى الى البدعة ، والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به ، وآكل أموال اليتامى ، وآكل السحت ، وآكل مال أخيه بغير حق ، وشارب المسكر ، والزانى ، واللوطى ، والسارق ، والخائن ، والغادر ، والمخادع ، والماكر ، وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه ، والمحلل والمحلل له ، والمحتال على اسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ، ومؤذى المسلمين ، ومتتبع عوراتهم ، والحاكم بغير ما أنزل والعدوان ، وقاتل النفس التى حرم الله ، والملحد فى حرم الله ، والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها ، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنائحة والمستمع اليها ، ونواحو جهنم وهم المغنون الغناء الذى حرمه الله ورسوله والمستمع اليهم ، والمطففون فى استيفاء ما لهم اذا أخذوه وهضم ما عليهم اذا بذلوه ، والجبارون ، والمتكبرون ، والمراؤون ، والهمازون ، واللمازون ، والطاعنون على السلف ، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم ، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ، والذى اذا خوفته بالله وذكرته به لم يرعو ولم ينزجر فاذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه ، والذى يهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدى ولا يرفع به رأسا فاذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطىء عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه ، والذى يقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه ، وربما استثقل به فاذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سره وتواجد وهاج من قبله دواعى

الطـرب وود أن المغنى لا يسـكت ، والـذى يحلف بالله ويكذب فاذا حلف بالبندق أو برىء من شيخه أو قريبـه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولـو هـدد وعوقب ، والذى يفتخر بالمعصـية ويتكثر بها بين اخوانه وأضرابه وهو المجاهر ، والذى لا تأمنه على مالك وحرمتك ، والفاحش اللسان البذىء الذى تركه الخلق اتقاء شره وفحشه ، والذى يؤخر الصلاة الى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيهـا الا قليلا ، ولا يؤدى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، ولا يحج مع قدرته على الحج ، ولا يؤدى ما عليـه من الحقوق مع قـدرته عليها ، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة ولا يبالى بما حصـل من المال من حلال أو حـرام ، ولا يصـل رحمه ، ولا يرحم المسـكين ، ولا الأرملة ، ولا اليتيم ، ولا الحيـوان البهيم ، بـل : يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، ويرائى للعالمين ، ويمنع الماعون ، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه وبذنوبهم عن ذنبه .

فكل هـؤلاء وأمثالهم : يعذبون فى قبـورهم بهذه الجرائم ، بحسب كثرتها وقلتها ، وصغيرها وكبيرها .

ولما كان أكثر الناس كذلك : كان أكثر أصحاب القبور معذبين ، والفائز منهم قليل .

فظواهر القبور تراب ، وبواطنها حسرات وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجـارة المنقوشة مبنيـات ، وفى باطنها الدواهى والبليات تغلى بالحسرات كما تغـلى القدور بما فيها ، ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها .

تالله لقد وعظت فما تركت لواعظ مقـالا ، ونادت

يا عمار الدنيـا : لقد عمرتم دارا موشـكة بكم زوالا ، وخربتم دارا أنتم مسرعون اليها انتقـالا ، عمرتم بيوتا لغيركم منافعهـا وسكناها ، وخـربتم بيوتا ليس لـكم مساكن سواها .

هـذه : دار الاستباق ، ومستودع الأعمـال ، وبذر الزرع .

وهذه : محل للعبر ، رياض من رياض الجنة ، أو حفر من حفر النار .

وسائل النجاة من عذاب القبر

وهى الأسباب التى : تقى صاحبها من عذاب القبر، وتمنع أن يكون قبره حفرة من حفر النـــار ، بل تؤدى - بفضل الله تعالى - الى أن يكون القبر روضة من رياض الجنة .

ويمكن أن نجملها قائلين :

ان اجتناب كل ما ذكر فى أسباب عذاب القبر ، يعد من وسائل هذه النجاة .

ومن أنفع هـــذه الوسائل - كما يقــول ابن القيم كذلك - أن يجلس الرجل عندما يريد النوم - كل ليلة - ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه فى يومه ، ثم يجدد له توبة نصوحا ، بينه وبين الله ، فينـــام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يعاود الذنب اذا استيقظ، ويفعل هــــذا كل ليلة ، فان مات من ليلته : مات على توبة ، وان استيقظ : استيقظ مستقبلا للعمل ، مسرورا بتأخير أجله ، حتى يستقبل ربه ، ويستدرك ما فاته .

ثم يقــول : وليس للعبد أنفع من هـــذه النومة ، ولا سيما اذا عقب ذلك بذكر الله تعالى،حتى يغلبه النوم.

فمن أراد الله به خيرا وفقه لذلك .

هذا بصفة عامة .

وهناك : أمور بعينها ، تحقق ذلك (١٠١) .

---

(١٠١) القرطبى : التذكرة ص ١٨٤ وما بعدها .

منهـــا : -

(أ) الاستشهاد فى سبيل الله تعالى •

ودليل ذلك : من حديث رسول الله صـلى الله عليه وسلم •

روى الترمذى : بسنده ، عن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم •

أنه قال : « للشهيد عند الله ست خصال :

يغفر له فى أول دفعة من دمه •

ويرى مقعده من الجنة •

ويجار من عذاب القبر •

ويأمن من الفزع الأكبر •

ويوضع على رس تاج الوقار ، الياقوته منه : خيـر من الدنيا وما فيها •

ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين •

ويشفع فى سبعين أقاربه (١٠٢) •

---

(١٠٢) رواه : الترمذى - واللفظ له - فضـــائل الجهاد - باب ثواب الشهيد •

ورواه : ابن ماجة - كتاب الجهاد - باب فضل الشـــهادة فى سبيل الله •

وقال القرطبى فى كتاب « التذكرة » ص ١٨٦ : وقع فى جميع نسخ الترمذى ، وابن ماجة « ست خصال » ، وهى فى متن الحديث:
=

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وروى النسائى : بسنده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« أن رجلا قال : يا رسول الله : ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم ، الا الشهيد ؟ قال : كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » (١٠٣) .

قال الامام القرطبى (١٠٤) : قوله عليه الصلاة والسلام : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » .

معناه : أنه لو كان فى هؤلاء المقتولين نفاق !! كان اذا التقى الزحفان وبرقت السيوف : فروا ؛ لأن من شأن المنافق : الفرار ، والروغان عند ذلك ، ومن شأن المؤمن: البذل ، والتسليم لله نفسا ، وهيجان حمية الله ، والتعصب له ، لاعلاء كلمته .

فهذا : قد أظهر صدق ما فى ضميره ؛ حيث برز للحرب والقتل .

فلماذا يعاد عليه السؤال فى القبر ؟

أقول : وليس ببعيد فى فضل الله تعالى : أن يكون للشهيد فى سبيل الله هذا الأثر الطيب ، والجزاء الحسن،

=

سبع ، وفى رواية ابن ماجة « ويحلى بحلة الايمان » تكون ثمانية، وكذا ذكره ابو بكر احمد بن سلمان النجاد ، بسنده عن المقدام بن معدى كرب ، قال : قال رسول الله ﷺ « للشهيد عند الله ثمانية خصال » .

(١٠٣) كتاب : الجنائز ـ باب : الشهيد .

(١٠٤) التذكرة ص ١٨٩ .

فوق ما أعد له ربه سبحانه وتعالى ، من عظيم الفضل ، ووافر الانعام ٠

(ب) الرباط ٠

وهو : الملازمة فى سبيل الله تعالى ، مأخوذ من : ربط الخيل ، ثم سمى كل ملازم لثغر من ثغور المسلمين : مرابطا ، فارسا كان ، أو مترجلا (١٠٥) ٠

ودليل ذلك : من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم وليلة: خير من صيام شهر وقيامه ، وان مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتاة » (١٠٦) ٠

ويقول عليه الصلاة والسلام : « كل ميت يختم على عمله ، الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله ، فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ، ويأمن من فتنة القبر » (١٠٧) ٠

وليس ببعيد فى فضل الله تعالى : أن يكون للرباط فى سبيل الله ـ كذلك ـ هذا الأثر الطيب ٠

وذلك :

لأن المرابط : أمتثل لقول الله سبحانه وتعالى :

---

(١٠٥) القرطبى ٠ الجامع لاحكام القرآن ٣٢٣/٤ ٠

(١٠٦) رواه مسلم : كتاب الامارة ـ باب فضل الرباط فى سبيل الله ٠

(١٠٧) رواه : الترمذى ـ واللفظ له ـ كتاب فضل الجهاد ـ باب ما جاء فى فضل من مات مرابطا ٠

ورواه أبو دواد ـ كتاب الجهاد ـ باب فى فضل الرباط ٠

(يا أيهـا الذين آمنوا اصـبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (١٠٨) ٠

ونفذ ما طلب منه خالقه ٠

لأن المرابط : يطلب الشـــهادة ، وهو متأهب ومنتظر وواقف بنفسه على الجهاد فى سبيل الله ٠

وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من خير معاش الناس لهم : رجل ممسك عنـــان فرسه فى سبيل الله ، يطير على متنه ، كلما سمع هيعة أو فزعة ، طار عليه ، يبتغى القتل والموت مظانه » (١٠٩)٠

وان رجلا بهذا الصدق : لهو بألف رجل فى الدفاع عن غرضه ، وحماية مقدساته ٠

وان أمة رجالها على مثل هذا الرجل : لهى أمة ، قوية ، عزيزة ، مرهوبة الجـــانب ، مسموعة الكلمة ، تأمر فتطاع ، وتشير فيستجاب لها ٠

لأن المرابط : يهىء للأمة حياة آمنة ، مستقرة ، حيث أن كل الأعمال ، ومنها أعمـال البر ، لا يتمكن منهـــا الا بالســـلامة من العـدو والتحرز منــه ، ولا يتم ذلك الا بالمرابطة ، والصدق فى ذلك ٠

(ج) القول الطيب ٠

---

(١٠٨) آل عمران : ٢٠٠ ٠

(١٠٩) رواه : مسلم ــ كتاب الامارة ــ باب : فضـــل الجهاد والرباط ٠

ومظانة : يعنى يطلبه من مواطنه التى يرجى فيها ، رغبة فى الشهادة ٠

وأفضل قول يكون سبيلا الى نجاة صاحبه من عذاب القبر : هو تلاوة القرآن ، والمداومة على ذلك ٠

وقد وردت الأحاديث بخصوصية لبعض السور ، فى أنها تنجى صاحبها من عذاب القبر ٠

ومن ذلك : سورة « الملك » ٠

فقد روى الترمذى ، بسنده ، عن ابن عباس ، أنه قال :

« ضرب بعض أصحاب النبى ، صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فاذا فيه انسان يقرأ سورة (تبارك الذى بيده الملك) حتى ختمها ٠

فأتى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله !! انى ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فاذا فيه انسان يقرأ سورة (تبارك ٠٠ الملك) حتى ختمها ٠

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

هى : المانعة ٠

هى : المنجية ، تنجيه من عذاب القبر ٠

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب (١١٠) ٠

---

(١١٠) كتاب : فضائل القرآن ـ باب : ما جاء فى فضل سورة الملك ٠

وقد روى الامام القرطبى ، بسنده ، عن ابن عباس أنــه :

قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟

قال الرجل : بلى يا ابن عباس رحمك الله !!

قال : اقرأ (تبـارك الذى بيـده الملك) احفظها ، وعلمهـــا أهلك ، وجميع ولدك ، وصـبيان بيتـــك ، وجيرانك .

فانها : المنجبة ، والمجـــادلة ، تجادل ، أو تخاصم يوم القيامة ، عند ربها ، لقارئها ، وتطلب له ، الى ربها، أن ينجيه من عذاب النار ، اذا كانت فى جوفه .

وينجى الله بها صاحبها من عذاب القبر (١١١) .

ومن المعلوم : أن ابن عباس لا يقول مثل هذا الكلام عن طريق الرأى والاجتهاد .

ويمكن لنا أن نضيف الى ما ذكره الامام القرطبى :

الاستعاذة من عذاب القبر .

اذ لولا أنها :

وسيلة من وسائل النجاة من عذاب القبر .

وداعية ـ فى نفس الوقت ـ الى أن يجتنب قائلها ، غشيان الطرق والفعال ، المؤدية الى عذاب القبر .

---

(١١١) التذكرة ص ١٨٧ .

لولا ذلك !!

لما أرشد النبى ، صلى الله عليه وسـلم ، صحابته ، والمؤمنين من بعدهم ، الى المواظبة عليها ، على هذا النحو : الجاد ، الملفت ، الداعى الى مسارعة الامتثال ٠

فقد روى البخارى ، بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، أنه قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدعو : اللهم انى أعوذ بك :

من عذاب القبر ٠

ومن عذاب النار ٠

ومن فتنة المحيا والممات ٠

ومن فتنة المسيح الدجال » (١١٢) ٠

وروى كذلك : عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص ، أنه قال :

« كان سعد يأمر بخمس ، ويذكر عن النبى ، صـلى الله عليه وسلم ، أنه كان يأمر بهن :

اللهم انى :

أعوذ بك من البخل ٠

وأعوذ بك من الجبن ٠

---

(١١٢) كتاب : الجنائز ، باب : التعوذ من عذاب القبر ٠

وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر •

وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، يعنى فتنة الدجال •

وأعوذ بك من عذاب القبر » (١١٣) •

(د) الموت فى زمان معين •

والمراد بذلك : أن يكون موت العبد فى زمان مبارك •

وقد ورد تحديد بعض هذه الأوقات المباركة ، التى يكون الموت فيها سببا فى نجاة العبد من عذاب القبر ، أو من فتنته ، أو يكون ذلك سببا فى التخفيف عنه من ذلك •

فقد روى الامام الترمذى ، بسنده : عن عبد الله ابن عمرو ، قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم يموت يوم الجمعة ، أو ليلة الجمعة ، الا وقاه الله فتنة القبر » (١١٤) •

قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب •

وفى التعليل لكون هذه الأمور بعينها سببا فى نجاة العبد من عذاب القبر :

يقول الامام القرطبى : وهذا كله ، ليس فيه مدخل

---

(١١٣) رواه البخارى : كتاب : الدعوات ، باب : التعوذ من عذاب القبر •

(١١٤) كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء فيمن مات يوم الجمعة

للقياس ، ولا مجال للنظر ، وانمــــا فيه : التســـليم ، والانقياد لقول الصادق ، والمرسل الى العباد صـلى الله عليه وسلم (١١٥) .

ومن المتمم للفائدة هنا :

أن ننقل نصا بحروفه ، للامام ابن القيم ، ذكره فى كتابه « الروح » (١١٦) .

يقول فيه : ـ

وقد جاء فيما ينجى من عذاب القبر : حـديث فيه الشفاء .

رواه أبو موسى المدينى ، وبين علته فى كتابه فى الترغيب والترهيب ، وجعله شرحا له ، رواه من حـديث الفرج بن فضالة : حدثنا هلال أبو جبلة ، عن سـعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن سمرة .

قال : خرج علينا رسول الله صـلى الله عليه وســـلم ونحن فى صفحة بالمدينة ، فقام علينا فقال : انى رأيت البارحة عجبا !

رأيت رجـــلا من أمتى : أتـــاه ملك الموت ليقبض روحه : فجاءه بره بوالديه ، فرد ملك الموت عنه .

ورأيت رجـــلا من أمتى : قد احتوشته الشياطين : فجاء ذكر الله ، فطير الشياطين عنه .

ورأيت رجلا من أمتى : يلهث عطشا ، كلما دنا من

---

(١١٥) التذكر ص ١٨٨ ، ١٨٩ .
(١١٦) ص ١١٤ ، ١١٥ .

حوض منع وطرد : فجاءه صيام شهر رمضان ، فأسقاه وأرواه ٠

ورأيت رجلا من أمتى : ورأيت النبيين جلوسا حلقا حلقا ، كلما دنا الى حلقة طرد ومنع : فجاءه غسله من الجنابة ، فأخذ بيده ، فأقعده الى جنبى ٠

ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة ، ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن يساره ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، وهو متحير فيه : فجاءه حجه ، وعمرته ، فاستخرجاه من الظلمة ، وأدخلاه فى النور ٠

ورأيت رجلا من أمتى : يتقى وهج النار وشررها فجاءته صدقته فصارت سترا بينه وبين النار وظلا على رأسه ٠

ورأيت رجلا من أمتى : يكلم المؤمنين ولا يكلمونه ، فجاءته صلته لرحمته ، فقالت : يا معشر المؤمنين انه كان وصولا لرحمه ، فكلموه ، فكلمه المؤمنون ، وصافحوه ، وصافحهم ٠

ورأيت رجلا من أمتى : قد احتوشته الزبانية ، فجاءه أمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر ، فاستنقذه من أيديهم ، وأدخله فى ملائكة الرحمة ٠

ورأيت رجلا من متى : جاثيا على ركبتيه ، وبينه وبين الله حجاب ، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده ، فأدخله على الله عز وجل ٠

ورأيت رجلا من أمتى : قد ذهبت صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من الله عز وجل ، فأخذ صحيفته ، فوضعها فى يمينه ٠

ورأيت رجــلا من أمتى : خف ميزانه ، فجــاءه أفراطه (١١٧) فثقلوا ميزانه ٠

ورأيت رجلا من أمتى : قائمـا على سـفير جهنم ، فجــاءه رجاؤه من الله عز وجــل فاستنفذه من ذلك ، ومضى ٠

ورأيت رجلا من أمتى : وقد هوى فى النار ، فجائته دمعته التى قد بكى من خشية الله عز وجل ، فاستنقذته من ذلك ٠

ورأيت رجلا من أمتى : قائما على الصراط ، يرعـد كما ترعد السعفة (١١٨) فى ريح عاصف ، فجـاءه حسن ظنه بالله عز وجل ، فسكن روعه ، ومضى ٠

ورأيت رجلا من أمتى : يزحف على الصراط ، يحبو أحيانا ، ويتعلق أحيانا ، فجاءته صلاته فأقامته على قدميه وأنقذته ٠

ورأيت رجلا من أمتى : انتهى الى أبواب الجنــة ، فغلقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ، ففتحت له الأبواب ، وأدخلته الجنة ٠

قال الحافظ أبو موسى : هذا حديث حسن جــدا ، رواه : عن سعيد بن المسيب ، وعمــر بن ذر ، وعــلى ابن زيد بن جدعان ٠

---

(١١٧) فرط فروطا وفرطا : عجل واسرع ٠ وفرط فلان ولدا : احتسبه صغيرا ٠ ويقال : فرط له ولد : سبقه الى الجنة ٠ ويقال فى الدعاء للطفل الميت : « اللهم اجعله لنا فرطا أى أجرا يتقدمنا حتى نرد عليه ٠ ويقال أيضا افراط الصباح : لأول تباشيره ٠

(١١٨) ورقة النخل اليابسة ٠

ونحو هذا الحديث مما قيل فيه : ان رؤيا الأنبيـــاء وحى ، فهو على ظاهـرها ، لا كنحـــو ما روى عنـــه صلى الله عليه وسلم أنه قال : رأيت كأن سيفى انقطع ، فأولته كذا وكذا · ورأيت بقرا تنحر ، ورأيت كأنا فى دار عقبة بن رافع ·

وقد روى فى رؤياه الطويلة :

من حديث : سمرة فى الصحيح (٩٦) ·

ومن حديث على :

وأبى أمامة ·

وروايات هؤلاء الثلاثة : قريب بعضها من بعض ، مشتملة على ذكـــر عقوبات جمـــاعة من المعذبين فى البرزخ ·

فأما فى هذه الرواية : فذكر العقوبة ، وأتبعها بمـــا ينجى صاحبها من العمل ·

وراوى هذا الحديث عن ابن المسيب : هلال أبو جبلة، مدنى ، لا يعرف بغير هذا الحديث ، ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه هكذا ، وذكره الحـــاكم أبو أحمد ، والحـــاكم أبو عبد الله : أبو جبل ، بلا هاء ، وحكياه عن مسلم ·

ورواه عنه : الفرج بن فضـــالة ، وهو وســـط فى الرواية ، ليس بالقوى ، ولا المتروك ·

ورواه عنه : بشـير بن الوليد ، الفقيه ، المعروف بأبى الخطيب ، كان حسن المذهب ، جميل الطريقة ·

وسمعت شيخ الاسلام يعظم هـــذا الحديث ، وقال : أصول السنة تشهد له ، وهو من أحسن الأحاديث ·

الحياة البرزخية معبر من دار الى دار

قال الله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنهـا نخرجكم تارة أخرى) (١١٩) ٠

وفى تفسير الجلالين : (١٢٠)

(منها) أى الأرض ٠ (خلقناكم) بخلق أبيكم آدم منها ٠

وفيها نعيدكم) مقبورين بعد الموت ٠

(ومنها نخرجكم) عند البعث ٠

وقال تعالى : (والله أنبتكم من الأرض نبـاتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) (١٢١) ٠

وفى تفسير القرطبى : (١٢٢)

(ثم يعيدكم فيها) أى : عند موتكم بالدفن ٠

(ويخرجكم اخراجا) بالنشور للبعث يوم القيامة ٠

وروى الامام أحمد فى مسنده : أن عثمان بن عفـان كان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ٠

فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى ، وتبكى من هذا ؟

---

(١١٩) طه ٥٥ ٠
(١٢٠) ٩٦/٣ ، ٩٧ ٠
(١٢١) نوح ١٧ ، ١٨ ٠
(١٢٢) ٣٠٥/١٨ ٠

فقال : ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« القبر : أول منازل الآخرة ٠

فان ينج منه : فما بعده أيسر منه ٠

وان لم ينج منه : فما بعده أشد منه » ٠

قــال :

« وقال رسـول الله صـــلى الله عليه وسلم : والله ما رأيت منظرا قط ، الا والقبر أفظع منه » (١٢٣) ٠

***

هذه بعض من نصوص كثيرة تجيبنا عن الســؤال الذى وضعناه عنوانا لهذه النقطة فى صدر هذا البحث ، وهو : الى متى الحياة البرزخية ؟

وهى نصوص ترينا ، و ـ فى نفس الوقت ـ تثبت لنا ، أن الحياة البرزخية :

مرحلة انتقــالية ، ومعبر من دار الدنيـــا الى دار العلى ، وهى الدار الآخرة ٠

وبداية الدار البرزخية : كما نعرف جميعا ، تختلف حسب موعد انتقال كل انسان اليها يوم موته ٠

لكن نهايتها : تكون للجميع ـ ودون استثناء ـ فى وقت واحد ، ولحظة واحدة ٠

يقول رب العــزة (ونفخ فى الصـــور فاذا هم من

---

(١٢٣) انظر : مسند عثمان بن عفان ٠

الاجداث (١٢٤) الى ربهم ينسلون - قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون - ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) (١٢٥) ٠

ويقول تعالى وصفا للكافرين فى هذا اليوم :

(يوم يدع الداع الى شىء نكر - خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر - مهطعين (١٢٦) الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) (١٢٧) ٠

أى : يوم القيامة ؛ لما ينالهم فيه من الشدة (١٢٨) ٠

ويقول سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ٠

(فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون - يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون - خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) (١٢٩) ٠

---

(١٢٤) القبور ٠
(١٢٥) يس ٥١ - ٥٣ ٠
(١٢٦) أى : مسرعين ٠
(١٢٧) القمر ٦ - ٨ ٠
(١٢٨) القرطبى : الجامع لأحكام القرآ ١٧/ ٠
(١٢٩) المعارج ٤٢ - ٤٤ ٠

خـاتمـة

اذا كان الأمر كما عرفنا !!

وهو كذلك قطعا .. !!

أفلا يجدر بنا جميعا .. أن نقف وقفة : متـأنية ، عاقلة ، نحاسب فيها أنفسنا بصدق واخلاص ، ونراجـع فيها أنفسنا بوعى وشجاعة .

وقفـة :

تردع الظالم عن ظلمة ، خوفا من هذا المصير الأسود فى هـذه الحياة البرزخية ، وكذلك المصير الأشـد منه سوادا ، فيما بعد الحياة البرزخية .. !!!

سواء أكان هذا الظلم : لنفسه ، بحرمانها من طاعة الله ، واطلاق العنان لشهواته وغرائزه .

أم كان لغيره ، بحرمانهم من عبادة الله تعالى ، أو بمنع نعم الله تعالى عنهم ، والاسـتئثار بها دونهم ، أو بسومهم ألوان العذاب والنكال ، قل ذلك أو كثر .

وقفـة :

تدفع المؤمن : الى البحث الحثيث ، والسعى الدائب الدائم ، عن طاعة الله تعالى فى أى صـورة من صـور الطاعة ، ولو كان ذلك : ببذل المـال ، أو ببذل النفس خالصة لله تعالى ، طاعة لله تعالى ، ودفاعا عن دينه .

وقفـة :

تخلق من الضعيف شجاعا قويا ، حيث تجعله يثـق

أنه لا عذاب الا من الله ، وعند الله ، ولا ثـواب الا من الله ، وعند الله ، وأن العذاب الحق ، والنعيم الحـق : هو ما يكون فى الحياة البرزخية ، وما بعدها ٠

وما دام الأمر كذلك : فلا مجـال للجبن فى هـــذه الدنيا ، ولا مجال للضعف أمام غير الله سبحانه وتعالى٠

وهذا : بعض ما يفهم من حديث رسول الله صـــلى الله عليه وسلم :

« المؤمن القـوى : خـير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » (١٣٠) ٠

وهذا : هو ما ينبغى أن يكون حال كل مؤمن ٠

وبالتالى : هو ما ينبغى أن يكون حال المؤمنين فى مجموعهم ، فى كل زمـان ومكان ، حتى تكون ـ بهم ـ كلمة الله هى العليا ٠

وقفـــة :

تجعل من كل عالم : يسائل نفسه كثيرا ٠٠ !!

هل : تعلم ما تعـلم ، ويتعلم ما يتعلم ؛ طـاعة لله ورسوله ، ونشرا لهدى كتاب الله تعالى ، واحياء لســنة النبى صلى الله عليه وسلم ، ورغبة فى تمكين المسلمين من حسن استخلافهم لله تعالى على ظهر الأرض وعمـارة هذا الكون ٠ ؟؟

---

(١٣٠) رواه مسلم ـ كتاب القدر ، باب : فى الأمر بالقـــوة وترك العجز : ٠٠

أو أنه : تعلم ما تعلم ، ويتعلم ما يتعلم ؛ « لدينا يصيبها - أو امرأة ينكحها » - من سيارة فارهة يركبها ، أو عمارة شاهقة باسقة يبنيها ، أو « فيلا » فاخرة يقتنيها ، أو أرصدة فى البنوك وأموال فى وجوه الاستثمار ينميها ؟؟

هل : تعلم ما تعلم ، ويتعلم ما يتعلم ؛ بادئا فى تطبيق ناتج ذلك على نفسه ، وأهله •

رغبة فى النجاة من أن يكون ممن ذمهم المولى عز وجل بقوله :

(كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)(١٣١)•

وأملا فى أن تتحقق به : الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة ؟

أو أنه : تعلم ما تعلم ، ويتعلم ما يتعلم ؛ ولا علاقة لكل ذلك بالتطبيق أو الفعل ، ويكاد يصدق عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم •

(يأتى فى آخر الزمان قوم : حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية ، يمرقون من الاسلام ، كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم » •

وفى حديث آخر :

« ويقرؤن القرآن ، لا يجاوز حناجرهم » (١٣٢) ؟

---

(١٣١) الصف : ٣ •

(١٣٢) رواه البخارى : كتاب فضائل القرآن ، باب : اثم من راءى بالقرآن ، أو تاكل به ، أو فجر به •

هل : تعلم ما تعـــلم ، ويتعلم ما يتعـــلم ؛ ليجهر بالحق ، ويعلن دين الله ، ويبلغ رسـالة الله ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، عملا بقول ربه سبحانه وتعالى :

(ادع الى ســـبيل ربـك بالحكمـــة والموعظـــة الحسنة) (١٣٣) .

دون توان ، أو تباطىء ، أو تكاسل ، أو خوف .

سواء أكان ذلك : لـنفسه ، بكفها عن غيها .

أم كان ذلك : لأهله وعشيرته .

امتثالا لقول الله سبحانه تعالى .

(يا أيهـــا الذين آمنوا قوا أنفسـكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليهـــا ملائكة غلاظ شـــداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (١٣٤) .

أم كان ثالثا : لسلطان جائر .

امتثالا لقول النبى صلى الله عليه وسلم : لمن سأله قائلا :

« أى الجهاد أفضل ..؟

قال : كلمة حق عند سلطان جائر » (١٣٥) .

---

(١٣٤) النحل ١٢٥ .

(١٣٣) التحريم ٦ .

(١٣٥) رواه : الترمذى ـ كتاب ـ الفتن ـ باب ما جاء افضل الجهاد .

ورواه : النسائى (واللفظ له) كتاب البيعة ، باب : فضل من تكلم بالحق عند امام جائر .

أم أنه : تعلم ما تعـــلم ، ويتعلم ما يتعـــلم ؛ ليكتمه عن الناس فلا يبينه ، ولا ينشره ، تكاســـلا ، أو خوفا من مغبة ذلك .

فيكون ممن يصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى .

(ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهـدى من بعد ما بيناه للنـــاس فى الكتاب أولئـك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (١٣٦) .

أو يكون ـ كذلك ـ ممن يصدق فيهم حديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم .

« من سئل عن علم ، ثم كتمه ، الجم يوم القيـــامة بلجام من نار » (١٣٧) .

أو لينافق به ، ابتغاء عرض الدنيا : من مال ، أو جاه ، أو أمن كاذب .

فيكون ممن يصدق فيهم قول الحق سبحانه وتعالى.

(ان الـذين يكتمون مــا أنــزل الله من الــكتاب ويشترون به ثمنـــا قليلا أولئــك ما ياكلون فى بطونهم الا النــار ولا يكلمهم الله يوم القيـــامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (١٣٨) .

ويقول الامام القرطبى : وهذه الآية ، وان كانت فى

---

(١٣٦) البقرة ١٥٩ وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/١٨٤ .
(١٣٧) رواه الترمذى : كتاب العلم باب ما جاء فى كتمـــان العـــلم .
(١٣٨) البقرة ١٧٤ .

الأخبار ، فانهـــا تتناول من المسلمين من كتم الحـق ، مختارا لذلك ، بسبب دنيا يصيبها (١٣٩) ٠

ويكون ـ كذلك ـ ممن يصدق فيهم قول النبى صلى الله عليه وسلم :

« انما أخاف على أمتى الأئمة المضلين » (١٤٠)

أو قوله صلى الله عليه وسلم :

« ان أخوف ما أخاف على أمتى : كل منـــافق عليم اللسان » (١٤١) ٠

وقفـة :

تجعلنى بعد هذه الدراسة ، أطيل النظر ، وأعمـــل الفكر ، فى هذه الحياة البرزخية ، وما بعدها ، ســـائلا نفسى :

هل أنا فاعل لما أنشده من الآخرين ؟

هل أنا مستعد ، وأعمل للنجاة مما أحذر منه قرائى الكرام ؟

هل أنا أهـــل لما أبشر به الصالحين من النعيم فى الحياة البرزخية وما بعدها ؟

هــــل ٠٠ ؟

---

(١٣٩) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/٢ ٠
(١٤٠) رواه : الترمذى ، كتـــاب الفتن ، باب : ما جاء فى المضلين ٠
(١٤١) رواه : الطبرانى ، والبزار ٠

وهـــل ... ؟

وهـــل ... ؟

تساؤلات كثيرة ...

اجاباتها جميعا : تجعلنى أخاف وأرجو .

أخاف : عذاب الله تعالى .

ودافعى فى هـــذا الخوف : عصـــيانى الرهيب ، وذنوبى الكثيرة الخطيرة ، وتقصيرى فى كل طاعة .

وأرجو : رحمة الله ، التى وسعت كل شىء .

وسندى فى هذا الرجاء : قول النبى صلى الله عليه وسلم :

« سددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، فانه لا يدخل أحـدا الجنة عمله .

قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟

قـــال : ولا أنـــا ، الا أن يتغمـدنى الله بمغفـــرة ورحمة » (١٤٢) .

اللهم اغفر لى .
اللهم ارحمنى
آمـــين

الفقير الى غفران ربه ورحمته
أبـــو ســماء
عبد الحى حسين الفـرماوى

---

(١٤٢) رواه : البخارى ، كتاب : الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل .

فهــارس الكتاب

فهرس أهـم المراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ أحكام القرآن

تاليف : ابى بكر محمد بن عبد الله ،
المعروف : بابن العربى ٠
المتوفى : سنة ٥٤٣ هـ ـ ١١٤٧ م
تحقيق : على محمد البجاوى
٤ أجـــزاء
طبع : عيسى الحلبى ـ القاهرة

٣ ـ احياء علوم الدين

تأليف : الامـــام ابى حـــامد محمد بن محمد الغزالى
المتوفى : سنة ٥٠٥ هـ ـ ١١١١ م
٥ أجزاء
نشر : مؤسســـة الحـــلبى وشركاة ، للنشر والتوزيع ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ـ القـــاهرة ٠

٤ ـ ارشاد العقل السليم الى مزايا الـــكتاب الكريم

تاليف : قاضى القضاه أبى الســعود بن محمد العمادى الحنفى
المتوفى : سنة ٩٨٢ هـ ـ ١٥٧٤ م
تحقيق : عبد القادر احمد عطا ٠
٥ أجــزاء
نشر : مكتبة الرياض الحديثة ـ بالرياض

٥ ـ اسباب السـلامة من أهوال القيامة

دراسة : طه عبد الله العفيفى
جزء واحد
الطبعة : الأولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م

نشر : مكتبة الزهـراء ٨ ش عبد العزيز
عابدين القاهرة ٠

٦ ـ اسباب النزول

تاليف : ابى الحسـن على بن أحمـد
الواحدى النيسابورى
المتوفى : سنة ٤٦٨ هـ ـ ١٠٧٥ م
جزء واحد
الطبعة : الثانية ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م
نشر : شركة مكتبة مصطفى الحلبى ـ
مصـر ٠

٧ ـ أسرار المـوت بين العلم والدين ٠

تأليف : د٠ مؤنس محمود غانم
بحث منشور بـ « المجلة العربية » التى
تصدر بالرياض بالسعودية ، العـدد
٧٧ السنة ٨ جمـادى الثانية ١٤٠٤ هـ
مارس ١٩٨٤ م ٠

٨ ـ التذكرة فى احوال الموتى وامور الآخرة ٠

تأليف : ابى عبد الله محمد بن أحمـد
الانصارى القرطبى ٠
المتوفى : سنة ٦٧١ هـ ـ ١٢٧٢ م
تحقيق : د٠ أحمد حجازى السقا ٠
جزءان فى مجلد واحد
الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية ٠
١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م

٩ ـ تفسير سـورة النور

تأليف : أبى الأعلى المودودى
المتوفى : سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م

تعريب : محمد عاصم الحداد
جزء واحد
دار الفكر

١٠ - تفسير القرآن العظيم

تأليف : عماد الدين أبى الفداء اسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى
المتوفى : سنة ٧٧٤ هـ - ١٣٧١ م .
٤ أجزاء
طبع بدار احياء الكتب العربية - عيسى الحلبى - القاهرة .

١١ - الجامع لاحكام القرآن

تأليف : أبى عبد الله محمد أحمد الأنصارى القرطبى
المتوفى : سنة ٦٧١ هـ - ١٢٧٢ م
٢٠ جزء
الطبعة : الثالثة - عن طبعة دار الكتب المصرية - دار القلم ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م - القاهرة .

١٢ - جامع البيان عن تاويل آى القرآن

تأليف : أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى
المتوفى : سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م
٣٠ جزء فى ١٢ مجلدا
الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

١٣ - الجامع الصحيح «وهو سنن الترمذى»

لابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة

المتوفى : سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م
تحقيق وشرح : احمد محمد شاكر - القاضى الشرعى ٠
٥ اجزاء
طبع ونشر : مصطفى الحلبى - القاهرة

١٤ - الروح « فى الكلام على ارواح الاموات والاحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار واقوال العلماء »

تاليف : ابى عبد الله بن قيم الجوزية ٠
المتوفى : سنة ٧٥١ هـ - ١٣٥٠ م ٠
حققه ، وقدم له ، وعلق حواشيه : محمد اسكندريلدا
نشر : دار الكتب العلمية ٠
بيروت - لبنان

١٥ - سنن ابى داود

صنفه وجمعه : ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق السجستانى ٠
المتوفى : سنة ٢٧٥ هـ - ٨٨٩ م
وعليه تعليقات : الشيخ أحمد سعد على « من علماء الأزهر الشريف »
جزءان
الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م
طبع ونشر : مصطفى الحلبى - القاهرة

١٦ - سنن ابن ماجة

للحافظ : ابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى
المتوفى : سنة ٢٧٥ - ٨٨٩ م
حقق نصوصه ، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه ، وعلق عليه : المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ٠

جـــزءان
نشر : عيسى الحلبى ـ القاهرة

١٧ ـ سنن النسائى : « بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى ، وحاشية السندى » .

للامام : احمد بن شـــعيب بن على بن سنان .
المتوفى : سنة ٣٠٣ هـ ٩١٥ م
٨ أجزاء فى ٤ مجلدات
دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان

١٨ ـ السيرة النبوية

تاليف : ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميرى .
المتوفى : سنة ٢١٨ هـ ـ ٨٣٣ م
تحقيق : مصطفى الســـقا ، ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى .
٤ اجزاء فى مجلدين
الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م
طبع ونشر : مصطفى الحلبى ـ القاهرة

١٩ ـ شرح الســـيوطى « علـــى ســـنن النسائى »

تاليف : شيخ الاسلام جـــلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى : سـنة ٩١١ هـ ـ ١٥٠٥ م .
انظر : الكتاب رقم ١٧ من هذه القائمة.

٢٠ ـ صحيح البخارى

للامام : أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى .
المتوفى : سنة ٢٥٦ هـ ـ ٨٧٠ م .
انظر : فتح البارى .

٢١ ـ صحيح مسلم

للامام : أبى الحسين مسلم بن الحجاج
القشيرى النيسابورى
المتوفى : سنة ٢٦١ هـ ٨٧٣ م
تحقيق : المرحوم الأستاذ محمد فؤاد
عبد الباقى
٥ اجزاء
نشر : عيسى الحلبى ـ القاهرة

٢٢ ـ صحيح مسلم : « بشرح النووى » .

للامام محى الدين أبى زكريا بن شرف
المتوفى : سنة ٦٧٦ هـ ـ ١٢٧٨ م
١٨ جزء فى ٦ مجلدات
المطبعة المصرية ومكتبتها ـ القاهرة

٢٣ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان

تاليف : نظام الدين الحسن بن محمد
ابن الحسين القمى النيسابورى
المتوفى : سنة ٧٢٨ هـ ـ ١٣٢٨ هـ
تحقيق ومراجعة : ابراهيم عطوة
عوض .
٣٠ جزء فى ١٠ مجلدات .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى ـ
مصر .

٢٤ ـ فتح البارى «بشرح صحيح البخارى »

للحافظ : أحمد بن على بن حجر
العسقلانى .
المتوفى : سنة ٨٥٢ هـ ـ ١٤٤٨ م
قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا : عبد العزيز
بن باز .

رقم كتبه وابوابه واحاديثه .. الـخ :
محمد فؤاد عبد الباقى .
أشرف على طبعه : محب الدين الخطيب
١٣ جزء + جزء كامل ، هو : « هدى
السارى : مقدمة فتح البارى »
الناشر : دار المعرفة للطبـاعة والنشر .
بيروت - لبنان .
توزيع : دار البـاز للنشر والتوزيـع
« عباس أحمد الباز » مكة المكرمة .

٢٥ - الفتوحات الالهيـة « بتوضيح تفسـير الجلالين للـدقائق الخفية »

تأليف : سـليمان بن عمـر العجيلى
الشافعى ، الشهير بالجمل .
المتوفى : سنة ١٢٠٤ هـ ١٧٩٠ م
٤ أجزاء
طبع : عيسى الحلبى - مصر

٢٦ - كتاب السـبعة فى القراءات

لابى بكر أحمد بن موسى بن العبـاسى
بن مجاهد التميمى البغدادى
المتوفى سنة : ٣٢٤ هـ - ٩٣٦ م .
تحقيق : الدكتور شوقى ضيف
الطبعة الثانية اول شوال سنة ١٤٠٠ هـ
جزء واحد
دار المعارف - مصر

٢٧ - كنز العمـال « فى سـنن الاقـوال والافعال »

للعلامة : علاء الـدين على المتقى بن
حسام الدين الهنـدى ، البرهان فورى
المتوفى : سنة ٩٧٥ هـ : ١٥٦٧ م .
ضبطه وفسر غريبة : الشيخ بكرى حيانى

صحيحه ووضع فهارسه ومفتاحه : الشيخ صفوة السقا
١٦ جزء
نشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان
١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م

٢٨ ـ لسان العرب

تأليف : جمال الدين أبى الفضل محمد محمد بن مكرم بن أحمد أبى القاسم بن حبقة بن منظور .
المتوفى : سنة ٧١١ هـ ـ ١٣١١ م
٦ أجزاء
طبع : دار المعارف ـ القاهرة

٢٩ ـ محاضرات الادباء « ومحاورات الشعراء والبلغاء »

لابى القاسم حسين بن محمد الراغب الاصبهانى
المتوفى : سنة ٥٠٢ هـ ١١٠٧ م
٤ أجزاء
منشورات : دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ١٩٦١ م

٣٠ ـ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى « عن الكتب السنة وعن مسند احمد بن حنبل »

رتبه ونظمه : لفيف من المستشرقين
نشره : الدكتور : أ. ى . ونسنك « أستاذ العربية » بجامعة : ليدن »
الاتحاد الامى للمجامع العلمية
مكتبة بريل فى مدينة ليدن ـ سنة ١٩٣٦م
٧ أجزاء .

٣١ ـ المعجم المفهـــرس لالفـــاظ القـــرآن الكريم

وضعه : محمد فؤاد عبد الباقى .
كتاب الشعب
نشر : دار مطابع الشعب ـ القاهرة

٣٢ ـ المغنى

« على مختصر : ابى القـــاسم عمر بن حسين بن عبد الله بن احمد الخرقى ، المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ـ ٩٤٦ م .
تاليف : ابى عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة .
المتوفى : سنة ٦٢٠ هـ ـ ١٢٢٣ م
تحقيق : الدكتور طـــه محمـــد الزينى « الاستاذ بالأزهر » .
١٠ أجزاء .
الناشر : مكتبة القاهرة ـ لصاحبها : على يوسف سليمان .
١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م

٣٣ ـ منهاج المسلم «كتاب عقـــائد وآداب واخلاق وعبـــادات ومعاملات »

وضعه خصيصا للاخوة المسلمين الصالحين
أبو بكر جابر الجزائرى .
جزء واحد .
الطبعة : الثانية .
نشر : دار عمر بن الخطاب للطبـــاعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ـ مصر .

٣٤ ـ الموت فى الفـــكر الغربى

تاليف : جاك شورون .

ترجمة : كامل يوسف حسين
مراجعة وتقديم : د٠ امام عبد الفتاح امام
الكتاب رقم ٧٦ من سلسلة عالم المعرفة ،
التى تصدر عن : المجلس الوطنى للثقافة
والفنون والآداب - الكويت ٠
جزء واحد ٠
عدد : رجب ١٤٠٤ هـ - ابريل ١٩٨٤ م

٣٥ - الموطأ

لامام الأئمــة ، وعالم المدينة : مالك بن
انس رضى الله عنه ٠
جزء واحد ٠
صــحيحة ، ورقمه ، وخرج أحاديثه ،
وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقى -
كتاب الشعب - القاهرة ٠

فهـرس الموضـوعات

الموضـــوع	الصفحة

كتب المؤلف

١ ـ البداية فى التفسير الموضوعى
الطعة الثـــانية (نفذ)
٢ ـ الخلافات الزوجية .. (نفذ)
٣ ـ رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين
٤ ـ زاد الدعاة من هدى القرآن الكريم الجزء الأول
٥ ـ زاد الدعاة من هدى القرآن الكريم الجزء الثانى
٦ ـ زينة المراة .. بين التشريع الاسلامى والواقع الانسانى
(نفذ)
الطبعة الثانية

٧ ـ صحوة فى عالم المراة
٨ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين
للامام ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ (تحقيق)
٩ ـ قصة النقط والشكل فى المصحف الشريف (نفذ)
١٠ ـ وصايا سورة الاسراء (نفذ)

تحت الطبع ان شاء الله تعالى

١١ ـ أحكام القــرآن للامام البــاغانى المتوفى ســـنة ٤٠١ هـ
(تحقيق)
١٢ ـ اجابات السماء مجموعــة قصصية من اســـباب النزول
١٣ ـ تدوين القرآن الكريم .
١٤ ـ زاد الدعـــاة الجزء الثالث
١٥ ـ زينة المراة بين التشريع الاسلامى والواقع الانسانى .
الطبعة الثالثة
١٦ ـ فترة الخطوبة بين التشريع الاسلامى والواقع المعاصر

رقم الايداع بدار الكتب ١٦٩٢ لسنة ١٩٨٥